اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف
[٧٦٥]

رئيس مجلس الإدارة

كمال محجوب

رئيس التحرير
حمزة عبد الصادق
مدير التحرير
عصام عبد الجليل

هيئة التحرير
ياسر محمد على
على محمد حاج
نرفانا محمود
د. أحمد عفيفى
سحر حسن
رشا رأفت

مدير تنفيذى
محمد البحيرى

مدير فنى
أماني والي
عصمت أحمد

مشرف فنى
شريف رضا

تصميم الغلاف
محمد عطية

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ — فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ — E-mail: maaref@idsc.net.eg

د. محمد عادل عبد العزيز

مفردات قرآنية

http://gate.dar-elmarf.com

اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هي ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التي نحياها.

طه حسين

دار المعارف

أحلام شهرزاد – العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾

صدق الله العظيم

(النحل: ٨٩)

المقدمة

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على الرسول المبعوث معلما ورحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد ، فإن هذا الكتاب هو حصيلة اهتمامى بموضوع اللفظ فى القرآن الكريم، والذى سبق وأن نشرته تباعا بين جريدتى الأهرام واللواء الإسلامى، وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أنه كشف أن اللفظ فى القرآن الكريم لا يدور فى جزر منعزلة، وإنما يدور فى فلك واحد لينسج الجوانب المتعددة فى إطار موضوع اللفظ، بل وعلاقته بألفاظ أخرى حيث يشكل فى النهاية موضوع اللفظ المستقل والمتكامل.

والقرآن الكريم بهذا المنهج يكشف عن عدم تعارض ما ورد عن اللفظ الواحد فى كل الآيات التى ورد فيها اللفظ مصداقا لقوله تعالى فى سورة النساء:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)

وأخيرا، أرجو من الله عز وجل أن يعيننى على استكمال المسيرة، فإنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور
محمد عادل عبد العزيز
الأستاذ بجامعة الأزهر

القرآن الكريم

القرآن

الكريم: هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد – ﷺ – بلسان عربى مبين فى كتاب مكنون من لوح محفوظ، فيقول تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ **(آية: ١٩٢ – ١٩٦) ويقول سبحانه فى سورة البروج:** ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ **(آية: ٢١ – ٢٢).**

وقد نزل القرآن الكريم فى شهر رمضان، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ **(آية: ١٨٥)، وللقرآن الكريم شعارات تدل عليه، فيقول تعالى فى سورة يوسف:** ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ **(آية: ١ – ٢)، ويقول سبحانه فى سورة الحجر:** ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ **(آية: ١)، ويقول عزل وجل فى سورة النمل:** ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ **(آية: ١).**

ولم ينزل القرآن الكريم جملة واحدة، وإنما نزل تنزيلا – أى على العديد من المرات– وذلك لحكمة إلهية وليثبت به فؤاد النبى – ﷺ –

وقد جاء ذلك فى قوله تعالى فى سورة الإنسان: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (آية: ٢٣)، وفى سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ﴾ (آية: ٣٢).

وقد تعهد المولى عز وجل بأن يتولى جمع القرآن بعد أن يتم تنزيله، فيقول سبحانه فى سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ (آية: ١٦– ١٩)، ورسالة القرآن الكريم، هى الهداية، والإنذار والوعيد كما أنه شفاء ورحمة للمؤمنين وخسارة على الكافرين به، فيقول عز وجل فى سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ (آية: ١ – ٣)، وفى سورة الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ (آية: ٧ – ٨)، وفى سورة طه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ (آية: ١١٣).

والقرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، والسورة، هى مثل من القرآن، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

عَبْدِنَافَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (آية: ٢٣)، وكل سورة من سور القرآن الكريم محكمة ومفروضة بذاتها، لقوله سبحانه فى سورة محمد: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ (آية: ٢٠)، كما يقول عز وجل فى سورة النور: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ (آية: ١).

أما نصوص القرآن فإن فيها ما يدعونا إلى الدهشة، لأن القرآن الكريم يعطى لنصوص فيه القدرة على أن تسير الجبال، أو تقطع الأرض، أو يتكلم به الموتى، فيقول سبحانه فى سورة الرعد: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (آية: ٣١).

ومصادر الإيمان بالقرآن متعددة وطبيعى أن يكون محمد - ﷺ - أول المؤمنين به، حيث يقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ (آية: ٢٨٥)، وإن كان هذا الإيمان لا يمنع من التحقق مما أنزل بالوسائل العلمية المتاحة، حتى وإن كانت من أهل الكتب السماوية السابقة للاطمئنان بأنه الحق، فيقول تعالى فى سورة يونس: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (آية: ٩٤)، وإذا كان القرآن بهذا النص الكريم يؤكد بطريق غير مباشر أن القرآن الكريم ليس من تأليف محمد، فإنه فى نفس الوقت يؤكد أنه ليس منقولا عن آخرين. بل ويحسم قضايا خلافية، فيقول سبحانه

فــى ســورة النمــل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ **(آيــة : ٧٦)، بل أكثر من هــذا ، أن النص القرآنى يكشــف ، أن محمــدا – ﷺ – لم يكــن يتمنــى يوما أن يكــون نبيا أو رســولا ، فيقول ســبحانه فى ســورة القصــص :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ **(آية : ٨٥ – ٨٧).**

ويؤكــد القــرآن الكريم، أنــه لو كان من عند غــير الله، لوجد الناس فيه اختلافا كثيرا فيقول ســبحانــه فى ســورة النساء : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ **(آية : ٨٢)، ويجب أن نفهم هنا الاختلاف بمعناه الواسع الذى يجعل نصوص القرآن تتعــارض فيما بينهما ، وتتعــارض مع الحقائق ســواء كانت بيانية ، أو إخباريــة أو علمية أو كونية أو غير ذلك ، وهنا ســيتأكد للجميع أنه تنزيل مــن رب العالمين ، فيقول عز وجل فى ســورة يونس :** ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ **(آية : ٣٧ – ٣٨).**

ويغلق القرآن الكريم ملف التشكيك فى أنه تنزيل من رب العالمين بهذا التحدى للإنس والجن مجتمعين، فيقول سبحانه فى سورة الإسراء: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ **(آية: ٨٨).**

وبرغم أن القرآن الكريم، قد كشف فى سورة الرحمن، أن تعلم القرآن كان قبل خلق الإنسان حيث يقول سبحانه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ **(آية: ١ - ٤)، وبرغم أن ذلك يعنى أن رحمة الله فرضت أن يسبق علم القرآن خلق الإنسان أى إن الله خلق الإنسان مهيئا لعلم القرآن، فإن الآيات تكشف أن الإنسان كان أكثر جدلا فى القرآن الكريم، فيقول سبحانه فى سورة الكهف:** ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ **(آية: ٥٤).**

ولقد تناول القرآن الكريم المؤمنين به فقال سبحانه فى سورة النحل: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ **(آية: ٩٨)، وفى سورة الإسراء:** ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ **(آية: ٧٨)، وفى سورة الإسراء أيضا:** ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ **(آية: ٩)، وفى**

سورة التوبة: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ **(آية: ١١١ – ١١٢)، أما المنافقين فيذكرهم عز وجل فى سورة محمد، فيقول:** ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ **(آية: ٢٤ – ٢٩).**

وإذا كان القرآن الكريم قد تناول فى آياته المؤمنين به، فإنه أيضا تناول الكافرين به، فيقول عز وجل فى سورة سبأ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ ﴾ **(آية: ٣١)، وفى سورة فصلت:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (آية: ٢٦)، وفى سورة يونس أيضا: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (آية: ٣٩ – ٤٤).

وفى سورة الأنعام: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (آية: ١٩).

وفى سورة الإسراء أيضا: ﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (آية: ٤٥ – ٤٧).

وفى سورة الانشقاق: ﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (آية: ٢٠ – ٢٣).

وفى سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ **(آية: ٤١).**

وفى سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ **(آية: ١٥ – ١٧).**

والقرآن الكريم دستور حياة ودين، فيقول سبحانه فى سورة المائدة:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ **(آية: ٤٨ – ٥٠).**

ويقسم العلماء الأحكام التى جاء بها القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع: أحـــكام اعتقادية، أى متعلقة بالعقيدة، كوجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورســله واليوم الآخر، وأحكام خلقية أى تتعلق بالآداب ومكارم الأخلاق لوجــوب التحلى بالصدق والعفاف والعــدل، وأحكام عملية، وهذه تنقسم إلى نوعين، أحكام عبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلــك من العبادات التى كلفنا الله بها. وأداؤها ينظم العلاقة بين المســلم وربه، وأحكام معاملات كالبيع والشراء والعقود والجنايات وكلها أمور تنظم علاقة المسلمين فيما بينهم.

ومما رعاه القرآن الكريم أن تأتــى أحكامه تفصيلية فى العبادات، وفيما يلحق بها من الأحوال الشــخصية التى تتعلق بالأسرة والمواريث لأن أكثــر أحكام هذا النوع تعبدى ولا مجــال للعقل فيه. وأما عدا ذلك فنجد أحكامه قواعد عامة ومبادئ أساسية لم تتناول التفاصيل الجزئية إلا فيمــا ندر، وذلك لكون هذه الأحــكام قابلة للتطور والتغير من بيئة إلى أخــرى ومن عصر إلى عصر، فنجده فى أحكام المعاملات مثلا يكتفى بالقواعــد العامــة، ويترك لولاة الأمر فى كل زمــان أن يضعوا القوانين المتمشية مع هذه القواعد وفقا للمصالح العامة.

ومما أجمــع عليه العلمــاء أن جميع الأحكام التــى كلفنا الله تعالى بهــا مصدرها الأول هو القــرآن الكريم فكل حكم مأمــورا به أو منهيا عنه يجب على الناس اتباعه ما دام مســتندا إلى النص الكريم أو السنة المطهرة.

وإذا كان القرآن الكريم هـو النص المعصوم من التحريف الموحى به من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله محمد – ﷺ – والمنقول إلينا بالتواتر، فإن علماء السـلف قد اتفقوا على أن القـرآن الكريم قطعى نصا، وحيث إننا اسـتطعنا فى كتابنا (ترجمان القرآن الكريم) اسـتنباط كل معانى ألفاظ القرآن من القرآن الكريم ذاته، فإنه بذلك يكون قد ثبت أن القرآن الكريـم، قطعى الدلالة أيضـا، وينطبق هذا على كل ما تضمنته نصوص القـرآن الكريم من أحـكام مثل قوله تعـالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقـرة آية: ٢٢٨)، لأن صرف معنى (القرء) إلى معنى الحيـض أو الطهر منه يخالف الثابت من صريح النص، كما أنه يخالف ما يثبت طبيا، وهو أن المرأة قد يأتيها الحيض وهى حامل، وقد لا يأتيها الحيض وهى غير حامل (حمل كاذب).

وأخيرا، ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، فقد تعهد المولى عز وجل بحفظه، فيقول سـبحانه فى سـورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (آية: ٩).

آدم عليه السلام

آدم

عليه السلام هو الإنسان الأول فى القرآن الكريم، وهو طور متقدم فى نظرية النشوء والارتقاء، وبرغم ما تتمتع به نظرية دارون من دقة الملاحظة حيث اكتشف دارون أن كل المخلوقات تتشابه فى وجود جهاز هضمى وجهاز دورى وجهاز تنفسى وجهاز إخراج.. إلخ. وبدلا من أن يستدل دارون وأتباعه من هذا الاكتشاف المهم أن الذى وراء ذلك الفكر والتصميم هو خالق واحد، هو الله سبحانه وتعالى. على العكس نادوا بالتطور، وهو ما وضع النظرية موضع نقد لاذع أفقدها قيمتها.

أما القرآن الكريم فلم يجعل خلق الإنسان الأول سرا، وإنما كشف عن الخطوات التى اتبعها الخالق فى خلق آدم، بل وكشف عن المواد التى استخدمها الخالق سبحانه فى خلقه لآدم:

أولا التراب: وهو العنصر الأول الذى دخل فى تكوين آدم، فيقول تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ (آية: ٥٩).

ثانيا الماء: حيث يقول سبحانه فى سورة الفرقان: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾ (آية: ٥٤).

ثالثا الطين: طبيعى أن التراب إذا اختلط بالماء يتكون الطين، وهو ما نفهمه من قوله تعالى فى سورة السجدة: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن

طِينٍ ﴾ (آية: ٧). وقد وصف سبحانه ذلك الطين فى سورة الصافات بأنه طين لازب ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ (آية: ١١)، والواضح أنه طين مختار قابل لتشكيل الهيئة كما سيتضح ذلك فى الأسطر القليلة القادمة.

رابعا الصلصال: وهذه هى مرحلة معالجة الطين اللازب (بالحرارة الميسرة) ليصبح صلصالا كالفخار وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (آية: ٢٦). وقوله سبحانه فى سورة الرحمن: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آية: ١٤).

خامسا الخلق: وهو تكوين الهيئة التى سيكون عليها المخلوق، وهذا ما يفهم من قوله سبحانه فى سورة آل عمران: ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (آية: ٤٩).

سادسا التصوير: وهو كيفية تركيب الخلقة لقوله تعالى:

فى سورة آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ (آية: ٦).

وفى سورة الانفطار: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (آية: ٨).

وفى سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ (آية: ١١).

ولا مجال هنا لجدل حول نظرية دارون، حيث كان آدم فى النص القرآنى معتدل القامة منذ البداية، وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه فى سورة الانفطار: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ (آية: ٧).

سابعا التسوية: هى قدرة الله عز وجل على أن يجعل من خلق السماء سبع سموات ومن الإنسان ذكر وأنثى ومن النفس فجورها وتقواها لقوله تعالى:

فى سورة القيامة: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ **(آية: ٤).**

وفى سورة البقرة: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ **(آية: ٢٩).**

وفى سورة القيامة: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ **(آية: ٣٨ – ٣٩).**

وفى سورة الشمس: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ **(آية: ٧ – ٨).**

ثامنا النفس: هى مخلوق من الماء، وهى فى الإنسان تعقل وتكلف وتشتهى وتهوى ويقضى عليها الموت لقوله تعالى:

فى سورة الكهف: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ **(آية: ٥١).**

وفى سورة الأنبياء ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ **(آية: ٣٠).**

وفى سورة البقرة: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ **(آية: ٤٤).**

وفى سورة البقرة أيضا: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ **(آية: ٢٨٦).**

وفى سورة الزخرف: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ (آية: ٧١).

وفى سورة النجم: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ (آية: ٢٣).

وفى سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ (آية: ٤٢)، وقد يفسر هذا التعريف بالنفس، السبب فى نقص وزن الإنسان بمجرد أن تتم الوفاة ما دامت النفس مخلوقة من عنصر الماء، حتى ولو كان فى صورة غاز أو طاقة.

تاسعا الروح: والروح هو آخر مراحل خلق الإنسان، فيقول سبحانه فى سورة الحجر: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (آية: ٢٩ - ٣٠). والروح هو من أمر الله، لقوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ (آية: ٨٥)، وأمر الله هو (كُن فَيَكُونُ)، لقوله تعالى فى سورة يس: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (آية: ٨٢)، وهكذا يتضح أن الروح هو السر الإلهى الذى به يكون العبد على اتصال بربه.

وإذا كان القرآن الكريم نص على أن الموت يقع على النفس التى يحيا بها الجسد، فإنه لم ينص إطلاقا على أن الموت يقع على الروح، وكيف يقع الموت على الروح، وهى السر الإلهى الذى كان به الإنسان.

هذا عن خلق الإنسان الأول (آدم)، أما عن كيفية انتقال سر الحياة إلى ذريته، فيقول سبحانه فى سورة السجدة: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾ (آية: ٧ – ٩)، وهكذا فإن سر الحياة يحمله كل من الحيوان المنوى والبويضة الملقحة، والمستمدة من نفس الإنسان الأول آدم وفى ذلك يقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ (آية: ١).

ونحن إذا كنا لم نشاهد ولا مرحلة واحدة من مراحل خلق الإنسان الأول (آدم) فإن العلم الحديث قد تمكن من مشاهدة مراحل خلق الإنسان فى بطن أمه من ذرية آدم، ويؤكد الدكتور عبد الهادى مصباح بأنه أصبح فى الإمكان بواسطة الأجهزة الحديثة أن نرى هذه المراحل منذ بداية الحمل حيث يبدأ ظهور جذور أو براعم اليدين ويبدأ تشكيل العيون، وعند خمس أسابيع يبدأ تكوين الأنف، وعند ست أسابيع (شهر ونصف) تبدأ ظهور جذور الرجلين ويكون طول الجنين ٢سم، ونستطيع أن نسمع ونرى من خلال الموجات فوق الصوتية القلب وهو ينبض، وذلك قبل أن يكمل الجنين شهرين من بداية الحمل، ويمكنه أن يحرك يديه ويبدأ تكوين الأصابع وحركتها، وكذلك الأعضاء الداخلية مثل الكبد وعدسة العين والأعضاء التناسلية، وكذلك عظام الجمجمة

التـــى تبدأ فى التكوين والالتقاء ببعضهـــا وتكثر فيها الأوعية الدموية لكى تنمو وتقفل على المخ، وعند ٨ أســـابيع (شهرين) يبدأ تكوين عظام القدمين والغضاريف، وعند عشر أسابيع يتحرك الجنين ولكن لا تشعر الأم بحركتـــه، ويبـــدأ ظهور الأذن ويكون طول الجنـــين فى هذا العمر حوالى ٥سـم، أما عند ١١ أســبوعا فينمو الجنين ويصبح طوله ٦,٥ سم وعند ١٢ أســبوع (٣ أشـــهر) يصبح طوله ٧,٥ سم ويظهر الحبل السرى الـــذى يربط الجنين بأمه ويتغذى من خلاله، وعند ١٤ أســبوع يشـــبك يديه ويمص أصابعه، وعند ١٥ أســبوعا يكتمل تكوين الأعضاء الحسية والأعصاب، وعند ١٦ أسبوعا يلف داخل رحم الأم وهنا تبدأ الأم تحس بحركته لو كان عندها خبرة ســـابقة بالحمل والولادة. وصدق الله العظيم حيث يقول فى ســـورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (آية: ٣٦ – ٤٠).

وإذا كانـــت هذه قصة مراحل خلق الإنســـان فى القرآن، فإن مراحل عودة الإنســـان إلى التراب بعد الموت هى الدليل القاطع على صحة قصة النشـــأة الأولى، حيث تكون بنفس التسلســـل العكسى لما ورد فى القرآن الكريم حيث ســـرعان ما يتخشـــب الجســـد بعد خروج النفس ويصبح (صَلْصَـــالٍ كَالْفَخَّارِ) وبمـــرور الوقت يتحلل فـــى القبر وتمتص الأرض ما كان به من ماء، ولا يبقى إلا التراب.

وقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون آدم فى الأرض خليفة ليكون سيدا على كوكب الأرض ولكن قبل أن يخلق هذا الخليفة عرض الأمر على الملائكة فى عرض عام مطلق فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (آية: ٣٠). وهنا تطلعت الملائكة إلى هذه المكانة الرفيعة فى ميزان الخليقة التى توزن به مرتبة الكائن بين عامة الكائنات، كما تطلع إبليس إلى نفس المكانة ولم يشر القرآن الكريم إلى أى مخلوق آخر تطلع إلى هذه الخلافة سوى الملائكة وإبليس. وقد ظن كلا منهما أنه هو المقصود بتولى تلك المكانة الرفيعة بين كل المخلوقات!

لكن الله سبحانه وتعالى عرض بعد ذلك عرضا خاصا ومقيدا فى سورة ص، ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ (آية: ٧١)، وهنا علم الجميع أن المقصود بالخلافة غيرهم، وهنا تباينت مواقف الملائكة، وإبليس، ولما تأكد الملائكة أن الخليفة من غيرهم قالوا من فورهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (سورة البقرة آية: ٣٠) وهذا القول لا يجب أن نفهمه على أن الملائكة كانوا على اطلاع مسبق بما سيكون من الإنسان ولكن قولهم هذا يرجع إلى اطلاعهم على الأرض وعلى ما يحدث بين المخلوقات الطينية التى سبقت الإنسان مثل الحيوانات والطيور. ويلفت الله سبحانه الملائكة إلى أن الأساس الأول الذى يجب أن تقوم عليه الخلافة، إنما هو (العلم)

فقال سبحانه: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (سورة البقرة آية: ٣٠) موجها بذلك الملائكة إلى أن السيادة على كوكب الأرض لا تكون إلا بالعلم.

لذلك كان آدم – عليه السلام – هو أول من علمه ربه من البشر، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ (آية: ٣١)، وهذا النص الكريم يناقض كل ادعاءات الماديين التى تنادى بأن الإنسان بدأ أبكم جاهلا كافرا، ثم تعلم النطق بتقليد ما حوله من حيوانات، حيث يؤكد النص الكريم أن الإنسان بدأ ناطقا متكلما بلغة لها أصولها، ولكن لماذا كان تعلم الأسماء هو أول ما تعلمه من اللغة؟، هل فى ذلك توجيه إلى ضرورة تعلم الأسماء أولا عند تعلم أى لغة جديدة، أو عند تعليم الأطفال القراءة؟

ويشير القرآن الكريم إلى أن تعليم آدم الأسماء، لم يكن قاصرا على النطق بها وقراءتها فقط، بل كان يتضمن تعليمه كتابتها أيضا، فيقول سبحانه فى سورة العلق: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ (آية: ٤). ويمكننا أن نستنتج من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ (سورة البقرة آية: ٣١)، وقوله عز وجل فى سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ (آية: ١ – ٣) أن اللغة التى تعلمها آدم، هى اللغة العربية لأنها هى لغة القرآن الكريم.

والعلم الحديث فيه من الأدلة على أن اللغة العربية هى اللغة الأم لكل لغات العالم، مع تسليمنا بأن اللغة تنمو وتتطور كما ينمو ويتطور

كل كائن حى، ويكفينا من ذلك كله التقارب الشديد بين جميع أصوات حروف اللغات، وهيمنة الأصوات فى اللغة العربية على كل لغات أهل الأرض، ما يمكننا من رد هذه اللغات إلى أصل واحد هو اللغة العربية، بل ونفهم من القرآن الكريم أن اللغة العربية، هى لغة التخاطب فى الملأ الأعلى، فمن قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ (آية: ٣٣) نفهم أن اللغة العربية هى لغة الملائكة، كما أنها لغة الروح لنزوله على قلب محمد (ﷺ)، وهى أيضا لغة الجن لقول الله عز وجل فى سورة الجن: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢ ﴾ (آية: ١ – ٢).

وينتقل بنا القرآن الكريم إلى مرحلة هامة جاءت بعد أن انتهى آدم من مرحلة التعليم، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٣٣ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤ ﴾ (آية: ٣١ – ٣٤)، وفى نص كريم آخر يقول سبحانه فى سورة الحجر: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (آية: ٢٩ – ٣٠)، ونفهم من قوله تعالى (كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) أنه لم يتخلف واحد منهم عن السجود لآدم، سواء كان السجود لآدم بعد خلقه مباشرة، أو بعد تعلمه.

ثم ينتقل بنا القرآن الكريم إلى فصل جديد، بعد مرحلة التعليم، وهو تزويج آدم بحواء، يقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (آية: ١)، ثم يتطرق النص الكريم لمرحلة فى غاية الخطورة فى حياة آدم وزوجته، وهى مرحلة دخولهما الجنة، فيقول عزل وجل فى سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (آية: ٣٥)، ونلاحظ من النص الكريم أن الله عز وجل، قد صرفنا عمدا عن معرفة اسم الشجرة، لأننا نفهم من قوله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ (آية: ١٦)، أن الجنة ليس فيها شجرة محرمة، وإنما هو الامتحان لآدم وزوجه، كما أن دخول آدم وزوجه الجنة جعل من السهل على البشرية أن تطمئن بوجود الجنة وأن تعمل من أجل الفوز بها.

ثم تنتقل بنا نصوص القرآن الكريم إلى داخل الجنة، بعد أن سمح سبحانه لإبليس بإغراء آدم وزوجه بالأكل من الشجرة فيقول سبحانه فى سورة الأعراف: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن

سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ (آية: ٢٠ – ٢١).

وتكشف لنا النصوص القرآنية أن محاولات إبليس تكررت حتى استطاع أن يوقع بآدم فيأكل من الشجرة وتتبعه حواء فتأكل هى الأخرى، وهذا ما يؤكد عليه النص الكريم ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ (سورة طه آية: ١٢٠ – ١٢١). وبمجرد أن ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما، ويواصل النص القرآنى متابعة الأحداث، فيقول سبحانه فى سورة الأعراف: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (آية: ٢٢)، ثم خاطبهما ربهما عز وجل بعد هذا العقاب المباشر، داخل الجنة أيضا فى نفس السورة: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (آية: ٢٢).

وهكذا أصبح آدم فى مفترق الطرق: إما أن يعتذر وإما أن يركب رأسه ولا يعتذر كما فعل إبليس من قبل، لكنه اختار هو وزوجته الرجوع إلى الله ولم يصرا على المعصية وهذا ما تكشف عنه سورة الأعراف: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (آية: ٢٣) وهنا فقط رضى الله سبحانه وتعالى أن يهبط آدم وزوجه إلى الأرض لتولى مهمة الخلافة استحقاقا وليست عقابا.

لقد كانت محنة آدم فى الجنة هى محنة الإنسان، كل إنسان على الأرض لأن الجميع خلائف الله فى الأرض.

لذلك يقول رسول الله – ﷺ – «إن لم تذنبوا لذهب الله بكم ويأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم وكيف لا يغفر وهو الغفور الرحيم».

ونحن نتتبع نصوص القرآن الكريم، سرعان ما نكتشف أن إرادة الله شاءت أن يكون آدم خليفة فى الأرض عن الله عز وجل، لأن الخلافة ليست بالضرورة عن غائب، وإنما بالمقومات التى يستمدها الخليفة ممن استخلفه، وهى:

أولا العلم: فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (آية: ٣١ – ٣٣) وهكذا إذا كانت الآيات الكريمة ترشد إلى أهمية العلم بالنسبة للخلافة فإنها تكشف للملائكة فى نفس الوقت أن كل مخلوق مهيأ لما خلق له.

لذلك كان من الطبيعى أن يتقدم العلم على كل الأسس التى تقوم عليها الخلافة لأنه لن يستطيع الإنسان أن يكون سيدا على كوكب الأرض إلا بالعلم وهذا يكشف لنا السر فى أن تكون أول كلمة تنزل من القرآن الكريم هى (اقْرَأْ).

ثانيا ميراث الكتاب: فيقول سبحانه فى سورة الأعراف: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (آية: ١٦٩).

ثالثا العمل بأوامر الله: فيقول سبحانه فى سورة يونس: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤ ﴾ (آية: ١٤).

رابعا الحكم بالحق: فيقول سبحانه فى سورة ص: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ (آية: ٢٦).

خامسا الصلاة: فيقول سبحانه فى سورة مريم: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (آية: ٥٩). إذن فمن يكون ذلك الإنسان الذى لا يتمسك بتلك الأسس التى تقوم عليها الخلافة؟! أيكون خليفة رغما عن ذلك؟! أم يكون إلها مستقلا بالأرض؟!

وعلى الرغم من أن الخلافة تشريف لآدم فإن النص القرآنى يكشف لنا فى سورة طه أن فى الحياة على الأرض شقاء بسبب السعى المستمر على المطالب الأساسية للحياة، فيقول سبحانه: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ ﴾ (آية: ١١٧ – ١١٩).

وإذا كان النص القرآنى قد كشف عن المطالب الأساسية للحياة فإنه فى نفس الوقت قد وضعها بترتيب يكشف لنا مقدار درجة السعى الذى تحتاجه كل من هذه المطالب فيقدم الطعام على كل من الكساء والشراب

والمسكن وهذا يعنى أن الحصول على الطعام يحتاج سعيا من الإنسان أكبر من السعى للحصول على الكساء، وأن الكساء يحتاج سعيا أكبر من السعى للحصول على الماء، وأن الماء يحتاج سعيا أكبر للحصول على المسكن.

والآيات الكريمات بهذا الترتيب للمطالب الأساسية للحياة تنبه لقاعدة اقتصادية هامة حيث يجب العمل على توزيع الدخل بما لا يتعدى ترتيب مطالب الحياة الواردة فى القرآن الكريم.

لكن القرآن الكريم عاد فكشف عن شقاء آخر غير شقاء المتطلبات الأساسية للحياة المعيشية، فيقول سبحانه فى سورة طه: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (آية: ١٢٣ – ١٢٤).

وكما هو واضح من النص الكريم أن هذا الشقاء ليس بسبب متطلبات المعيشة، وإنما بسبب الضلال، والذى سيضيف إليهم شقاء إلى شقائهم يضاعف من معاناتهم، فيقول سبحانه فى سورة يونس: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ﴾ (آية: ١٠٨).

إبليـــس

إبليس

هــو من الجــن، لقوله تعالى فى ســورة الكهــف: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ (آية: ٥٠)، والجان خلقوا قبل آدم – عليه السـلام – من النار لقوله تعالى فى سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (آية: ٢٦ – ٢٧).

وقصــة إبليس فى القرآن الكريم، هى قصة كل إنســان رافض لحكم الله، والقصة تبدأ حين أمر المولى عز وجل إبليس بالســجود لآدم فرفض إبليس أمر الله عز وجل.

ويناقــش الخالــق إبليس بأسـلوب هادئ فيقول ســبحانه فى ســورة الحجــر: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (آية: ٣٢ – ٣٣).

وإذا كانت الآيات التى توضح رفض إبليس السجود لآدم قد تكررت فى القرآن الكريم، فإنها فى نفس الوقت، تكشف تكرار أمر الله لإبليس بالسجود لآدم، أو تكرار مناقشته.

وتكاد تنحصر جملة الأسـباب التى دفعـت إبليس إلى مخالفة أمر الله فى قوله تعالى فى ســورة الحجر: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ

مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (آيــة: ٣٣)، كمــا اعترض صراحة على الســجود لمخلوق من طين وذلك لما ورد فى سورة الإسراء: ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (آيــة: ٦١)، وفــى محاولة أخيرة من الله ســبحانه وتعالى، يوضح له أن عدم الامتثال للأمر، وعدم الســجود لآدم سيجعل إبليس مــن المتكبرين أو من المتعالين، فيقول عز وجل فى ســورة ص: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (آية: ٧٥ – ٧٦).

إن قضيــة إبليس التى ادعى فيها الخيريــة على آدم فى قوله لرب العــزة فى ســورة ص: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (آية: ٧٦) مرفوضة شكلا وموضوعا.

أما من حيث الشــكل فإن هذه القضية لا يمكن أن تقبل شكلا، لأنها متناقضــة، والقضية التى فيها تناقــض أو تبنى على تناقض لا يصح أن تقبل من حيث الشكل ولا يصح أن ينظر فيها، فقد رتب إبليس أنه خير مــن آدم على أن الله خلقــه من نار وخلق آدم من طين، والخيرية لا تقوم إلا علــى الذاتية، والمخلوقيــة لا ذاتية فيها، فــلا دخــل لآدم فــى أنه خلــق من طين، ولا دخل لإبليس فى أنه خلق من نار. لذلك كان الأولى بإبليــس أن يقول (أنا من نار وهــو من طين) لكن بما أنه قال (خلقتنى من نار) فالخالق هو الأعلم أيهما الخير؛ لذلك فالقضية مرفوضة شكلا.

أما من حيث الموضوع:

إن المتتبع لآيات الله الكريمة فى القرآن الكريم يرى أن مادة (الطين) تـدور على الخير والبركة أما (النـار) فعلى الرغم من أنها تكررت فى القـرآن ١٤٥ مـرة، فإنها بعيـدة كل البعد عن الخـير والبركة ولعلنا نستطيع أن نشير فى إيجاز إلى بعض هذه الأدلة فيما يلى:

أولا: خذ ما شـئت من قمح مثلا والقه فـى النار فإنه يحترق ويفنى ثم خذ حبـة واحدة فقط من القمح والقها فى الطـين فإنها تنبت ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ (سورة البقرة آية: ٢٦١).

ثانيا: النار عذاب ودمار. لذلك يقول سـبحانه فى سورة الأنبياء: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ (آية: ٦٩).

ثالثـا: الطين يقضى على النار ولا يمكن للنـار أن تقضى على الطين ولا على أحد جزئيه فالماء يطفئ النار والتراب يخمده ومجموعهما يمحق النار.

وعلى الرغم من شـناعة الخطأ الذى وقع فيه إبليس برفضه الخضوع لأمر الله فإن إبليس آثر التحدى وتصاعد الأزمة.

ويحـاول المولى عز وجل أن يذكر إبليس بأنه ليس له أن يرفض أمر إلهى لكـن ذلك كله لم يغير من موقف إبليـس أو يجعله يتراجع. بل أصر على التمادى فى العناد، وجاء فى سورة الحجر: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ (آية: ٣٤ – ٣٥)، وبدلا من أن يتراجع إبليس عن موقفه أصر على أن يستمر فى تحديه.

ويضع المولى عز وجل آدم وزوجه فى الامتحان، ويتيح الفرصة لإبليس ليبدأ فى ممارسة عداوته للإنسان بالوسوسة والتغرير حتى يزل الإنسان بما يكسب ويصبح إبليس شيطانا، يقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ **(آية: ٣٥)، ثم يكشف القرآن الكريم كيف تتابعت الأحداث، فيقول سبحانه فى سورة الأعراف:** ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ **(آية: ٢٠ – ٢٤).**

وتنتهى قصة العناد والاستكبار بأن يحق على إبليس القول بإن يكون من أهل جهنم، فيقول سبحانه فى سورة الإسراء: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ **(آية: ٦٢ – ٦٤).**

وللأسف يكشف النص الكريم، أن ظن إبليس على البشر قد صدق فيقول سبحانه فى سورة سبأ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (آية: ٢٠ – ٢١).

وهكذا حلت بالفعل اللعنة الإبليسية على كثير من الناس فكم من لص ذهب ليسرق، وحينما يستشعر أنه مقبوض عليه، يقتل ويتحول العقاب من سجن إلى إعدام. لهذا ينصحنا الله عز وجل بألا نطيع الشيطان، وأنه عدو، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (آية: ١٦٨ – ١٦٩).

وطبيعى أن تكون جهنم هى الجزاء العادل للجميع فيقول سبحانه فى سورة الشعراء: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (آية: ٩١ – ٩٥).

الإســراء

الإسراء هو المضى ليلا حيث الأمر، وهذا ما نفهمه من قول الله تعالى للوط عليه السلام، فى سـورة الحجر حيث يقول: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (آية: ٦٥).

وإذا كانت الآية الكريمة قد كشـفت عن معنى الإسـراء فى مفهوم القرآن الكريم، فإنها فى نفس الوقت قد كشفت أن لوطا عليه السلام هو الذى أسرى بنفسه وأهله، وأن الإسراء كان حقيقة وقعت، أما محمد – ﷺ – فى سـورة الإسراء، فإن الله هو الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسـجد الأقصى، وأن ذلك كان أيضا حقيقة واقعية وليسـت مناما، فيقول سبحانه: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (آية: ١).

وبرغم ما كشـفت عنه حادثة الإسـراء والمعراج من تكريـم الله عز وجل لرسـوله الأمين – ﷺ – حيث قال سـبحانه: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ﴾ (آية: ١)، فقد كشـفت حادثة الإسـراء والمعـراج أيضا أن المسـلمين قبل الهجرة

وبرغـم إيمانهم بالله الذى لم تزعزعه الشـدائد فإنهم لم يكونوا يؤمنوا بمحمد ﷺ، بدليل إنكار غالبيتهم لما رواه لهم من وقائع حادثة الإسراء والمعراج، وهنا لابد لنا من وقفة لنتسـاءل: إذا كانت حادثة الإسـراء والمعـراج ليرى الله محمد من آياته (الكـبرى)، وإذا كان القرآن الكريم احتفظ بسر تلك الآيات الكبرى ولم يفصح عنها، فلماذا لم يحفظ الله سر هذه الرحلة المباركة كلها ويجنب رسـوله الكريم محنة إنكار المسلمين له ؟! وكيف صلى الرسـول الكريم بالأنبياء والمرسلين على الأرض وهم جميعا فى عالم البرزخ، وما هى الحكمة من ذلك ؟!

نحن نعلم أن الدين الإسـلامى هو القرآن الكريم، والسنة الشريفة، فإذا كان القرآن الكريم يعنى أن مرجعية المسلم إلى كتاب الله، فإن السنة الشريفة تعنى أن مرجعية المسلم فى التطبيق إلى سنة رسول الله – ﷺ – وهو ما يعنى الإيمان بالله الواحد الأحد، والإيمان أيضا بأن محمد رسول الله، وأن كل ما يأتى به من نص أو تطبيق فهو حق.

وقد جاءت حادثة الإسراء والمعراج لتفصل بين عهدين. عهد اكتملت فيـه عقيدة التوحيد، وعهد يبدأ فيه التنفيذ العملى لأوامر الله، والذى ابتـدأ بالصلاة التى فرضت فى تلك الليلة المباركة، والذى سـيكون فيه محمد ﷺ هو المرجع الأساسى فى كيفية أداء الصلوات.

لذلك كان طبيعيا أن تبدأ هذه المرحلة بهزة عنيفة للمسلمين تنبه فيهم ضـرورة الإيمان بمحمـد – ﷺ –، وأن طاعتـه واجبة حتى لا يختلف

المسلمون فى تطبيق أوامر الله، بل لابد من اتباعه فى كل ما يأمرنا به، وترك جميع ما ينهانا عنه فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ (آية: ٨٠) ويقول عز وجل فى سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (آية: ٧). كما يقول الرسول الأمين: (صلوا كما رأيتمونى أصلى....). ويقول: (خذوا مناسككم عنى..).

أما لقاء الرسول الكريم بالأنبياء والمرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – والحكمة الإلهية من ذلك، فهنا نعود لتسائل: لماذا لا يكون هذا اللقاء قد تخطى الحدود الزمنية ليجتمعوا فى إسراء شملهم جميعا، ثم عاد كل منهم إلى عصره بعد أن تلقوا الصلاة بركوعها وسجودها عن محمد، ﷺ.

الإســلام

الإسلام

هو الدين عند الله عز وجل، لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آية: ١٩).

ويقوم الإســلام على أساســين: القــرآن الكريم، وهــو الذى يحمل بين دفتيه الإســلام نظريا، والســنة الشــريفة، وهى الأســوة الحسنة التنفيذية، والمثل الأعلى فى كيفية التطبيق.

وينقســم القرآن الكريم من الناحية الموضوعية إلى عقيدة وشــريعة. والعقيدة هى كل ما يتعلق بالإيمان من آيات كريمة، أما الشــريعة فهى أحكام الدين، وتتضمن كل الأوامر والنواهى التى يجب أن توضع موضع التنفيــذ. ولا شــك أن العقيدة أصل تبنى عليه الشــريعة فلا وجود لها بدونها، فمن أهدر العقيدة فليس بمسلم عند الله.

وإذا كانت العقيدة تقوم على الإيمان بالله عز وجل فإن مســألة وجود الله فى القرآن الكريم مســألة وعى أو عقل قبل كل شيء. لهذا، فقد اكتفى القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة إبراهيم ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ (آية: ١٠) لذلك كان منطقيا أن يقول ســبحانه فى سورة لقمان: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (آية: ٢٥).

وإذا كانت البشــرية قد اتفقت أنه من المحال أن تكون هناك صنعة لا صانــع لها، فإن الذى يصعب إدراكه هو: هل الصانع له شــريك فى

صنعتــه، لهذا لم تترك العنايــة الإلهية للعقل البشــرى وحده مهمة الاهتداء إلى الحقيقة، فكان من رحمة الله ســبحانه بالناس أنه أرســل الرسل، وأيدهم بالمعجزات لتكون دليل الإيمان الذى يهتدون به.

وقد كانت رســالة كل رسول مقدمة لمن سيأتى بعده من الرسل، فقد كان طبيعيا ألا تكتســب معجزة كل رسول منهم صفة الخلود، حتى إذا ما جاءت الرســالة الخاتمة، كان لابد وأن تكون معجزتها ملازمة لها عــبر العصور والأجيال. لذلك كان إعجاز القــرآن الكريم مصدر الدعوة الإسلامية إلى آخر الزمان.

ونحــن حينما نتتبع قضية التوحيد فى القرآن الكريم نجدها القضية المهيمنــة على القرآن الكريم كله، كما يكشــف لنا القرآن أن مفتاح تلك القضية هو العلم حيث يقول سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (سورة محمــد آية: ١٩) أى إن الإيمــان بوحدانية الله يحتاج إلى تعليم وأن هذا التعليــم يجب أن يكون مــن الله عز وجل وربما هنا نســتطيع أن ندرك السبب الذى من أجله كانت أول كلمة تنزل من القرآن الكريم هى (اقرأ) وطبيعــى ألا يحجر الدين على العقل، لأن الحجر على العقل يفقد الأمة حماسها نحو العمل الإيجابى. لهذا حرص القرآن الكريم أن يوضح كيف أدى منهج فرعون المســتبد: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ (ســورة غافر آية: ٢٩) إلى انتشــار الفساد. وهو ما يتكرر فى عصر كل حاكم مستبد. لذلك حرص الإســلام أن يجعل التفكير فريضة، وأن يترك مساحة للمشاركة الفكرية، وحرية الحركة حتى لا يكون الدين أفيون الأمة.

أمـا الشـريعة فهى أحـكام الدين، وهـى الأوامـر والنواهى التى تضمنت قوانين الصيانة والإصلاح، فالخالق سـبحانه هو الأعلم بصيانة صنعته وإصلاحها. الأمر الذى جعل من الدين ضرورة، فتضمنت الأوامر ما لا تدركـه البشـرية من منافع، كمـا تضمنت النواهى مـا لا تدركه البشـرية من أضرار، ومع ذلك، فقد حرصت الشريعة ألا تكون ثوابت جامدة، وإنما هى أوامـر ونواهى تتمتع بمرونة فائقة مراعية فى ذلك ظروف كل عصر وكل إنسـان، وعموما فقد ثبت أن الالتزام بشريعة الله عز وجل يؤدى نفسـيا إلى الشـعور بالرضا، وأن عدم الالتزام بها يؤدى إلى الشعور بالحرمان، والذى قد يؤدى إلى الانتحار.

وإذا كانـت هذه هى القواعد التى قام عليها فكر القرآن الكريم، فإن تفعيـل الدين يقوم على العمل بالأركان الخمس شـهادة أن لا إله إلا الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن اسـتطاع إليه سـبيلا. وهكذا ربط الإسـلام بين الإيمان والعمل، حتى إن رسـول الله ﷺ كان يشـترط على من شرح الله صدره للإسـلام أن يجهر فى شجاعة بالشـهادتين (لا إله إلا الله محمد رسـول الله) وهـذا فى حد ذاته عمل يعبر به المسلم عن إيمانه، ويفتتح به مرحلة جديدة من حياته العملية فى ظل الإسلام.

وإذا كان القرآن الكريـم قد أمرنا بالصلاة، فإنه لم يوضح لنا كيفية الصلاة وترك هذا الأمر للسـنة الشـريفة لذلك كانت سنة رسول الله ﷺ

المصدر الثانى بعد القرآن الكريم للأحكام الشـرعية .. هذه السـنة التى قـد لا يفهم الكثيرون أن اتباع مـا جاء فيها من أمر أو نهى واجب على كل مسلم كما قد لا يفهم البعض أشياء مثل معناها ووظائفها وأحكامها.

والسـنة هى: ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير فالقول كقوله: (إنما الأعمال بالنيات..). والفعل كأفعاله صلى الله عليه وسـلم فى صلاته وفى حجه وغـير ذلك من العبادات والأفعال التـى واظب عليها، وأخبرنا بوجـوب اقتدائنا به فيها كقوله صلى الله عليه وسلم: (صلوا كما رأيتمونى أصلى)، (خذوا عنى مناسككم).

أمـا التقرير فمعناه أن يفعل بعـض الصحابة فعلا فيقرهم صلى الله عليه وسـلم على فعله مثلمـا حدث فى أعقاب غـزوة الخندق لمن صلى العصـر فـى الطريق قبل أن يصـل إلى ديار بنى قريظـة ولمن صلاها فى ديارهم. والسنة النبوية وحى من الله تعالى كالقرآن الكريم إلا أن القرآن وحى من الله بألفاظه ومعانيه أما السـنة فهـى وحى من الله بمعانيها، أما ألفاظها فمن الرسول ﷺ.

والسـنة النبويـة أصل من أصول الدين وحجـة على جميع المكلفين متى نقلت إلينا بسـند صحيح يفيد القطـع أو الظن الراجح، وتأتى بعد القـرآن الكريم فـى حجيتها ووجوب العمل بهـا وهذا مما أجمع عليه العلماء. أى إن الأحكام الشـرعية الواردة عن طريق السنة النبوية تكون مع الأحكام الواردة فى القرآن الكريم واجبة الاتباع بالنسـبة لكل مسلم أو مسـلمة ودلائل ذلك كثيرة (قرآنا وسـنة)؛ ففى القرآن قوله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (سورة الحشر آية: ٧) وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (سورة النساء آية: ٨٠) وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (سورة آل عمران آية: ٣١) أما الأحاديث النبوية فمنها ما قاله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى). والنبى ﷺ – كان يعلم أنه سيأتى اليوم الذى ينكر فيه العمل بسنته فقال صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى فيقول: بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله).

وطبيعى أن ترتبط وظائف السنة بالقرآن الكريم فهى تارة مؤكدة لما جاء به من أمر أو نهى أو غيرهما فالقرآن مثلا أمر بالصدق ونهى عن الكذب، والنبى ﷺ يقول: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ... وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور....).

وقد تكررت الأحكام الشرعية التى حملت أدلتها من كل من القرآن الكريم والسنة النبوية كالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وكالنهى عن التقصير فى العبادة، وعن الغش وشهادة الزور وكثير من الرذائل.

ومن وظائف السنة أنها تأتى أحيانا بحكم شرعى جديد سكت عنه القرآن ولم يعارضه فيكون هذا الحكم واجب الاتباع كتحريم الجمع

فى الزواج بين المـرأة وعمتها أو خالتها وتحريم لبس الذهب والحرير بالنسـبة للرجـال، وبيان أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسـب، وغير ذلك من الأحكام الشرعية التى شرعت بالسنة وحدها.

وتارة ثالثة تلعب السـنة النبوية دور الشـرح والتفسـير لما أجمله القرآن الكريم من أحكام مثل الصلاة التى ورد ذكرها فى عشرات الآيات دون توضيح لأوقاتها وكيفية أدائها وأركانها وسـننها وعدد ركعاتها. وفى أحيان رابعة نجد السـنة قيدت ما جاء مطلقا فى القرآن ففى قوله تعـالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (سـورة الحج آيـة: ٢٩) أمر بالطواف مطلقا فى حين اشـترطت السنة أن يكون الطواف على طهارة. وكذلـك قامت – أحيانا – بتخصيـص أحكام قرآنية عامة: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ (سـورة النسـاء آية: ١١) فجعلت السنة هذا الحكم العام مقصورا على الشخص الذى لم يعتد على مورثـه بالقتل (لا ميراث لقاتل). كل هذه الوظائف يتكامل ويتشـارك فيها القرآن الكريم مع السنة النبوية المطهرة دون تعارض أو تخالف.

وقـد حصـر العلماء الأحكام التى يعد بها المسـلم كافرا فى سـبعة حالات:

أولا: إذا قال المرء كفرت بالله وبرسوله أو بالله أو برسوله أو رجعت إلى دينى الذى كنت عليه وغير ذلك من الكلام.

ثانيا: إذا أنكر الإنسـان أمرا معلوما مـن الدين بالضرورة أى أنكر ما ثبتت صحته بطريق لا يحتمل الشك. كأن ينكر وحدانية الله عز وجل

أو ينكر وجود الملائكة أو ينكر وقوع البعث. فلقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم قد رم وبلى ثم قال يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم ويبعثك ويدخلك النار) ونزل قول الله تعالى ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (سورة التغابن آية: ٧) أو ينكر أن الله تعالى هو الذى خلق هذا العالم كأن يقول العالم موجود بالطبيعة، أو ينكر نبوة محمد ﷺ، أو أى نبى من الأنبياء، أو ينكر فرضية الصلاة، أو الزكاة، أو أى ركن من أركان الإسلام، أو أى فرض من الفرائض التى فرضها الله عز وجل.

ثالثا: إذا استباح أمرا حراما ثبتت حرمته بطريق قطعى كأن يقول مثلا الزنا حلال أو الخمر حلال أو القتل حلال ويجهر بذلك. وكذلك إذا حرم شيئا أجمع المسلمون على حله أو أحل أمرا أجمع المسلمون على حرمته.

رابعا: إذا سب نبيا من الأنبياء أيا كان هذا النبى لأن الله تعالى قال ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (سورة البقرة آية: ٢٨٥) أو طعن فى عصمة نبى أو فى عفة نبى أو استهزأ بنبى من الأنبياء بالقول، أو بالفعل حتى ولو كان مازحا لأن هذه الأمور لا يجوز المزح بها بأى حال من الأحوال ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة البقرة آية: ١٥) فالأنبياء معصومون بعصمة الله لهم ومحفوظون بحفظ الله لهم.

خامسا: إذا سب الدين عامدا متعمدا قاصدا بذلك لعن الدين فهو كافر يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب تاب الله عليه وإلا قتل كفرا لا حداد ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين. أو طعن فى القرآن الكريم والسنة الشريفة بأن يقول مثلا الدين مخدر للشعوب. أو الدين أفيون الشعوب. أو قال مثلا القرآن لا يصلح للتطبيق فى هذه الأيام فالقرآن صالح لكل زمان ومكان فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وهو كلام الله المتعبد بتلاوته والمتحدى بأقصر سورة منه. أو دعا إلى عدم الأخذ بالسنة وإنكار ما صح سنده منها ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (سورة الحشر آية: ٧).

سادسا: إذا ادعى أنه نبى يوحى إليه.

سابعا: إذا أهان المصحف الشريف واستخف به وجعله عرضة للهذيان، أو إذا لغا عند سماع القرآن بقصد التشويش على كتاب الله. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة فصلت آية: ٢٦) هكذا كان الكفرة إذا سمعوا القرآن يتلى شوشوا على قراءته.

وإذا استخف باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته أو بأمر من أوامره أو بنهى من نواهيه اللهم إلا إذا كان حديث عهد بالإسلام ولا يعلم الحدود ولا يعرف الأحكام فإذا أنكر شيئا من ذلك جهلا به لا يكفر كمن أنكر مثلا تحريم نكاح البنت على عمتها أو على خالتها

أو أن القاتــل عمدا لا يرث وغير ذلك، فإن هذه المســائل وأشــباهها إذا أنكرها المســلم جاهلا بها أو بإجماع المســلمين علــى حرمتها لا يعتبر بذلك كافــرا بل يعذر بجهله لعدم معرفة العامــة بها وعلى من عرف عنه ذلك عليه أن يبصره بأمور دينه ويحذره عاقبة ذلك وكذلك لا يكفر المســلم بما يقع فى نفســه من هواجس ووساوس التى لو تلفظ بها لحكم عليه بالكفر قطعا.

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وســلم فسألوه فقالوا: إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنــا أن يتكلم به فقال: «ذلك صريح الإيمان»، وروى مســلم أيضا أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله». والله أمرنا أن نتفكر فى آلائه تعالى ولا نتفكر فى ذاته على لسان رسولنا حيث قال «تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذاته».

الوالدان

الوالدان

هما الأب والأم، وإذا كان الأب، هو من كان من بعده ذريته، لقوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ (آية: ١٧٣) فإن الأم، هى التى يخرج أبناؤها من بطنها، لقوله سبحانه فى سورة النحل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ (آية: ٧٨). ولما كانت الأم أضعف من الأب وحاجتها لأبنائها أكبر من الأب. سلك القرآن الكريم مسلكا عاطفيا فى تحديد معنى الأم، فيقول عز وجل فى سورة الأحقاف: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (آية: ١٥)، كما يقول سبحانه فى سورة لقمان: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ (آية: ١٤).

والوالدان هما اللذان اشتركا فى تربية أبنائهما، فيقول تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (آية: ٢٤)، وقد استعمل القرآن لفظ (ربيانى) والذى منه لفظ (الرب)، ليشعر الأبناء بقداسة جانبهما، وبأن التربية جديرة بالعرفان، من حيث كانت ذات اتصال بالربوبية.

لذلك فقد جعل المولى عز وجل الإحسان على رأس حقوق الوالدين على أبنائهما، فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (آيــة: ٣٦)، كما أننا نفهم من النص الكريم، أن الإحســان إلى الوالدين يأتى فى الترتيب بعد عبادة الله جل وعلا، وأن الإحسان إلى الوالدين من توابع عبادة الله، وأثر من آثاره التى تتقدم على كل الأدلة على صدق العبادة.

وعــن أسماء بنــت أبى بكر الصديــق – رضى الله عنهمــا – قالت: «قدمت على أمى، وهى مشــركة، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت علىّ أمى وهى راغبة (فيما عندى) أفأصل أمى ؟ قال: نعم، صِلى أمك».

ومن حقــوق الوالدين على أبنائهما الشــكر، والطاعــة، والصحبة المعروفة، فيقول سبحانه فى سورة لقمان: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾ (آية: ١٤ – ١٥).

وإذا كانــت كلمة (أف) لا تقال إلا لمن يعبدون من دون الله، لقوله تعالى فى ســورة الأنبياء: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (آيــة: ٦٦ – ٦٧)، فإن القرآن الكريــم يأمر الأبناء بألا يقولوا للوالدين المشــركين (أف) برغم أنهما يســتحقونها، وذلك لضرورة ألا يقول الأبنــاء لوالديهما إلا القول الكريم حتى ولو كانا مشــركين، بل والأكثر من هذا أنه من حق الوالدين على أبنائهما ألا يقول لهما إلا قولا كريما لا يستتبعه رفع الذراع أثناء الكلام، ولا ينهرهما حتى ولو كانا

مشـركين، كما أنه من حق الوالدين على أبنائهما الدعاء لهما بالرحمة فـي حياتهما، أما بعد مماتهما، فلا يكون الدعاء بالرحمة إلا للوالدين الذين ماتا على الإسـلام، وهذا كله ما نفهمه من قوله تعالى في سـورة الإسـراء: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (آية: ٢٣ – ٢٤).

بـــدر

بدر

هى بئر فى ســهل بين عدوة دنيا، وعدوة قصوى على طريق القوافل شرق البحر الأحمر بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهــذه المنطقة هى التــى دارت فيها أول معركة حربية فى الإســلام، والسبب هو محاولة المســلمين استخلاص أموالهم من قريش، لأن أكثر المهاجريــن فروا بأنفســهم وعقيدتهم من مكة، وتركــوا أموالهم هناك حيث منع المشــركون المســلمين من الهجرة بأموالهم. وإذا كان هذا هو دافع المســلمين لمحاولة استخلاص أموالهم من قوافل قريش، فإن دافع المشــركين كان حماية الطرق التجارية بين مكة والشام، والتى أصبحت تحت رحمة المسلمين.

تلــك هى العوامل المهمة التى جعلت قريشــا تفكر جديا فى انتهاز أول فرصــة للقضاء على المســلمين فى المدينة، بل والقضــاء على الدين الجديــد، وخاصة بعــد أن علمت قريش أن الرســول – ﷺ – قد ندب أصحابه للتعرض لقافلة قريش والتى كان يحميها حرس بين ثلاثين إلى أربعين رجلا بقيادة أبى ســفيان بن حرب، وذلك بعد أن علم الرســول بأنها قافلة عظيمة، يقدر ما تحمل من بضائع بخمسين ألفا من الدنانير. لكن القافلة حينما علمت بخروج المسلمين للقافلة تركت الطريق المسلوكة

وسارت متبعة ساحل البحر الأحمر فنجت القافلة من المسلمين، وأرسل أبو سفيان إلى قريش يخبرهم بذلك، لكن المشركين أصروا على مواجهة المسلمين برغم علمهم أن المسلمين لم يكونوا يريدون حربا، وإنما كانوا يريدون القافلة ليعوضوا بها ما اغتصبته قريشا من أموالهم.

وقد دارت معركة بدر فى صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة، الموافق ١٦ من مارس سنة ٦٢٤ ميلادية، وفى البداية صف رسول الله - ﷺ - الصفوف وجعل مناكب المقاتلين من المسلمين متلاصقة حتى صاروا كأنهم بنيان مرصوص، ويصف القرآن الكريم الموقف قبل القتال، فيقول فى سورة الأنفال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (آية: ٤١ - ٤٢).

وقد كانت المعركة غير متكافئة، فقد بلغت قوة المسلمين (٣٠٥) رجلا من المهاجرين والأنصار، بقيادة الرسول الكريم، وكان معهم فرسان فقط وسبعون بعيرا يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد، بينما بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلا أكثرهم من قريش، ومعهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الإبل لركوبهم وحمل أمتعتهم. وبرغم

أن العـدد والعـدة من العناصر الهامة لأى معركـة حربية، فإن القرآن الكريم قد كشـف لنا أن ذلك ليس وحده الذى يحسم المعركة لصالح أحد الطرفـين، وإنما هنـاك عوامل أخرى معنوية لا تقـل أهمية عن العدد والعتاد، فيقول سبحانه فى سورة الأنفال: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (آية: ٤٣ - ٤٦).

وخرج رسـول الله وهو يقول (سـيهزم الجمع ويولـون الدبر) وحرض المسـلمين فقال: والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهـم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسـبا، مقبلا غير مدبر إلا أدخلـه الله الجنة. فقويت عزائم المسـلمين، وسرت فيهم روح قوية اسـتمدوها من قائدهم العظيم - ﷺ - ويصور القرآن الكريم بداية معركة بدر، فيقول سـبحانه فى سورة آل عمران: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ

﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ (آية: ١٢١ – ١٢٦).

وبدأ القتال بمبارزة عبيدة بن الحارث من المسلمين لعُتبة بن ربيعة من المشركين، وعلى بن أبى طالب، للوليد بن عتبة، كما بارز حمزة بن عبد المطلب شيبة من المشركين وقد جرح كل من عبيدة وعتبة، أما الوليد بن عتبة وشيبة فقد قتلا على الفور. وقد استشاط المشركون غضبا لهذه البداية السيئة، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم، والهجوم بفرسانهم، إلا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة فى مواضعها، مكتفية بتصويب نبالها على سادة المشركين، ولم يفطن المشركون لأسلوب المسلمين الجديد فى القتال مما جعل رجالات المشركين تتهاوى بوابل نبال المسلمين، وقد كان أبو جهل على رأس من قتلوا فى تلك المعركة، ونزل رسول الله – ﷺ – بنفسه يقود صفوف المسلمين، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التى فقدت قادتها. وحينذاك فقط أصدر الرسول القائد أمره لقواته: (شدوا) أى شددوا الخناق والمطاردة.

لقد كانت معركة بدر صراعا بين حق وباطل، فانتصر الحق على الباطل، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال آية: ١٠).

البصـر

في أثناء رحلة بحرية حول موانئ حوض البحر الأبيض المتوسط، التقيت بأحد أساتذة طب العيون في الباخرة، وقد كان أمرا طبيعيا أن يتطرق بنا الحديث إلى العلم. فسألته عن السبب الرئيسى فى إبصار العين، فقال لى إن الغرب منقسمون فيما بينهم إلى مدرستين: المدرسة الأولى، وهى المدرسة الأوروبية، وهذه ترى أن السبب الرئيسى فى الإبصار هو شبكية العين، أما المدرسة الأخرى، وهى المدرسة الأمريكية، فإنها ترى أن النور هو السبب الرئيسى فى عملية الإبصار.

وبعد عودتى لمصر لجأت إلى القرآن الكريم، وقد تكررت فيه كلمة (البصر والإبصار) وحاولت أن أستشف السبب الرئيسى فى عملية الإبصار فى ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبداية وجدت أن القرآن الكريم ينص صراحة فى سورة الأنعام أن البصر ضد العمى، حيث يقول سبحانه: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ﴾ (آية: ١٠٤)، وبمزيد من البحث فى الآيات الكريمة، وجدت أن عملية البصر تناولتها ثلاث آيات كريمات، الأولى فى سورة الأعراف، حيث يقول تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (آية: ١٩٨)، والآية الثانية فى سورة الأعراف أيضا، ويقول عز وجل

فيها: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ (آيــة: ١٩٥). أما الآية الثالثة، فهى فى سورة البقرة ويقول سبحانه فيها: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (آيــة: ١٧)، وبذلك يكون القــرآن الكريم قد حدد لنــا عملية الإبصار فــى (نظر العين بالنور)، وهو بذلــك يكون قد أنهى الجدل الدائر بين علماء طب العيون لصالح علماء أمريكا، ولصالح علماء المسلمين من قبلهم بألف ســنة، حيث خالف الحســن بن الهيثم ما كان سائدا منذ العصر الإغريقى، فقد كان يعتقد علماء الإغريق بأن عملية الإبصار تتم نتيجة نور يخرج من العين إلى الأجســام التى فى مرمى بصر الإنســان، فأتى الحسن بن الهيثم بعكس هذا القول، والنور هو الذى يصدر من الأجسام التى فى مرمى بصر الإنســان، حيث كان الحسن بن الهيثم أول من أتى بهذه النظريــة منذ ما يزيد على الألف ســنــة، وهذا هــو القرآن الكريم يؤكــد علــى أن النور هــو الســبب الرئيســى فى عملية الإبصار والدليل التطبيقــى على ذلك، أنه فــى حالة ســلامــة الشــبكيــة ودخول إنسان غرفة مظلمة تماما، فإنه لن يبصر شيئا، لذلك يقــول سبحانه فى سورة النمل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (آية: ٨٦).

والقرآن الكريم قد ذكر لنا أن من أسماء الله الحسنى (البصير) ونفهم ذلك من خلال قوله ســبحانه فى سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (آية: ١١).

والقرآن الكريم إذا كان قد كشف أن النور هو السبب الرئيسى فى عملية الإبصار، فإنه كشف أيضا أن الضوء الشديد قد يذهب بالبصر، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ ﴾ (آية: ٢٠).

والبصر هو من أهم أدوات تحصيل العلم، حيث يقول سبحانه فى سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (آية: ٣٦).

وإذا كان البصر هو نافذة الإنسان على نفسه، لقوله تعالى فى سورة الذاريات ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (آية: ٢١)، فإن البصر، هو أيضا نافذة الإنسان على كل ما حوله فيقول عز وجل فى سورة الحج: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (آية: ٤٦)، فقد جعل الله فى كل ما حول الإنسان، وما فى نفسه دليلا على وجود الله ووحدانيته فيقول سبحانه فى سورة الأنعام: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا

ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٩٥ – ١٠٤).

ولما كان البصر هو محل فتنة الإنسان، فقد طلب الله سبحانه وتعالى منا جميعا أن نأمن على أنفسنا من ذلك بقوله تعالى فى سورة النور: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ﴾ (آية: ٣٠)، وقد حرص القرآن الكريم أن يكشف لنا أن البصر كان أيضا عاملا هاما فى حالة الشذوذ، فيقول سبحانه فى سورة النمل: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (آية: ٥٤)، ويفهم من النص الكريم أن البصر كان بابا دخلوا منه إلى ذلك النفق المظلم، فإنه قد يكون فى غض البصر البداية العملية لتصحيح المسار.

وفى سـورة يوسـف آيات تحتاج إلى البحث العلمى، حيث تكشف هـذه الآيات أن فى حالـة فقد الأب لبصره حزنا علـى فقد ابنه، فإنه يمكن أن يرتد إليه بصره إذا ما وجد ريح الابن المفقود، وهذا ما نفهمه من قولـه تعـالى: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾ (آية: ٩٣ – ٩٦).

وأخـيرا، إذا كان البصر من أهم النعـم التى تفضل بها الخالق على الإنسـان، فإنه يجب أن نشكر الله عليه الشكر الكثير، وهذا ما نفهمه مـن قوله عـز وجل فى سـورة النحـل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ (آية: ٧٨).

الجـــار

الجار **فــى القرآن الكريم: هــو من بجانبك فى المدينــة أو الأرض، لقوله تعالى فى ســورة النســاء:** ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ **(آية: ٣٦)، وقوله سبحانه فى سورة الأحزاب:** ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ **(آيــة: ٦٠)، وقوله عز وجل فى سورة الرعد:** ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ **(آية: ٤).**

لذلك لما أتى رجل إلى رســول الله صلى الله عليه وســلم يقول له: يا رســول الله، إنى نزلت فى محلة بنى فلان، وإن أشدهم إلىّ أذى أقربهم لى جوارا، فبعث الرســول أبا بكر وعمر وعليا، يأتون المسجد فيقومون على بابه فيصيحون ألا إن أربعين دارا جار، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه.

ويأتى الإحســان على رأس حقوق الجار علــى الجار، فيقول تعالى فى سورة النساء: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ **(آية: ٣٦) على أنه يجب أن نفهم الإحســان إلى الجار بمفهومه الواسع المشــتمل على كل جوانب الحســن فى القول والعمــل، كما تلفت الآية**

الكريمة السابقة نظرنا إلى أمر فى غاية الأهمية، وهو أنه من حق الجار على الجار ألا يختال عليه ولا يفخر، حيث يأتى فى ختام الآية، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (آية: ٣٦).

والإحسان إلى الجار برهان قوى على الإيمان بالله ورسوله، ودليل عملى على صدق الإيمان، وفى ذلك يقول ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس. وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس. وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا. وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما. ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب».

وقد روى الطبرانى عن معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله ما حق الجار علىّ؟ قال: «إن مرض عُدتَّه، وإن مات شيعته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عُدت عليه، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبنيان، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قِدْرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده».

وروى الترمذى وأبو داود، عن ابن عمر رضى الله عنهما، أنه ذبحت له شاة فى أهله، فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودى، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

الجهـــل

الجهل **فــى القــرآن الكريم، هو ما ليس لك به علــم، لقوله تعالى فى سـورة هود:** ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ **(آية: ٤٦).**

وليس الجاهــل كل من لا يقرأ ولا يكتب، وإنمــا الجاهل هو الذى ليس على بينة من الأمر فلا يكفى أن يقول الإنســان إننى قرأت (كذا)، أو سمعــت صوت (حيوان)، وإنما يجب أن يقول إننى قرأت وما فهمت منــه (كذا)، أو سمعت صوتا لكلب وهذا ما نفهمه من قول الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ﴾ **(آية: ٢٥٩).**

ويكشــف القــرآن الكريم عــن الســمات العامة التى تعــرف منها الجاهل:

أولا: القرب من عبادة غير الله، لقوله تعالى فى سورة الزمر: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ **(آية: ٦٤).**

ثانيــا: خطــاب الجهــل بعيد عن الســلام، لقوله تعالى فى ســورة الفرقان: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ **(آية: ٦٣).**

ثالثــا: الهزو فــى الحديث. لقوله تعالى فى ســورة البقرة: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ **(آية: ٦٧).**

رابعا: القرب من الفاحشة، لقوله تعالى فى سورة يوسف: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (آية: ٣٣).

خامسا: إصابة القوم بغير بينة، لقوله تعالى فى سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦﴾ (آية: ٦).

سادسا: أسئلة الجاهل تكشف أنه فى حاجة إلى العظة لقوله تعالى فى سورة هود: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٤٦﴾ (آية: ٤٦).

سابعا: أفعال الجهال خاطئة، لقوله تعالى فى سورة يوسف: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۝٨٩ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝٩١﴾ (آية: ٨٩ – ٩١).

ولما كان كل شىء فى الحياة عملة ذات وجهين، فإنه إذا زادت نسبة الجهل على نسبة الذين يعلمون كانت الجاهلية هى الحاكمة لهذا العصر، والعكس صحيح.

ويكشف القرآن الكريم، أنه فى حالة تغلب الجهل على العلم فإن المجتمع تتغلب عليه أربع سمات رئيسية:

أولا: الظـن بالله غير الحق، فيقول سـبحانه فى سـورة آل عمران:
﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ **(آية: ١٥٤) ومن هذا الظن فى القرآن الكريم:**
قوله سـبحانه فى سـورة فصلت: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ **(آية: ٢٢).**
وقوله عز وجل فى سورة القصص: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴾ **(آية: ٣٩).**
وقوله تعالى فى سـورة فصلت: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ **(آية: ٥٠).**
وقول تعالى فى سورة ص: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **(آية: ٢٧).**
وقوله عز وجل فى سورة الجاثية: ﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ **(آية: ٣٢).**
ثانيا: رفض حكم الله، واتباع الهوى، فيقول سبحانه فى سورة المائدة:
﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ **(آية: ٤٩ – ٥٠)، ويعلل هؤلاء الجهلاء رفضهم لحكم الله، بما يدعون بأن الدين ثوابت والحياة فى تغير مسـتمر، بينما الدين – فيما عـدا أحكامه التفصيلية فـى العبادات – أحكامه قواعـد عامة ومبادئ**

أساسية لم تتناول التفاصيل الجزئية إلا فيما ندر، وذلك لكون هذه الأحكام قابلة للتطور والتغير من بيئة إلى أخرى ومن عصر إلى عصر، فنجده فى أحكام المعاملات مثلا يكتفى بالقواعد العامة، ويترك لولاة الأمر فى كل زمان أن يضعوا القوانين التى تتناسب مع هذه القواعد وفقا للمصالح العامة، ولا أدرى ما الذى عاد على أوروبا بعد فصل الدين عن السياسة والحكم، فقد استطاع الدين أن يمنع مثل الحربين العالميتين اللتين راح ضحيتهما ملايين الأوربيين، وذلك أن الدين هو الحق والضمير الحى ونصرة الفضيلة وتحجيم الجشع.

ثالثا: إذا كانت المرأة نصف المجتمع فإنه من الطبيعى أن تنعكس الجاهلية عليها، فيقول سبحانه فى سورة الأحزاب: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (آية: ٣٣)، وهكذا يكشف النص الكريم امتلاء الشوارع بالنساء، وقد أضعن الصلاة والزكاة ولم يخضعن لحكم الله ورسوله.

رابعا: إذا كان هذا الجهل هو الذى يتحكم فى مجتمع المسلمين، فإنه يكون من الطبيعى أن تكون الفرصة قد أصبحت مواتية لأعدائهم للغارة عليهم، فيقول سبحانه فى سورة الفتح: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آية: ٢٦) ويكشف النص الكريم أن حمية أعداء المسلمين، هى العقاب الطبيعى من الله عليهم لعلهم يرجعون عن جاهليتهم. وإذا كان القرآن الكريم قد ذكر (الجاهلية الأولى) فإنه سبحانه يريد أن يلفت نظرنا إلى أن هذه الحالة ستتكرر كلما توفرت عناصر الجاهلية الأولى.

الحب

الحب **في القرآن الكريم ضد الكره، وهو متعة نفسية تتزين في القلب لقوله تعالى في سورة الحجرات:** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ **(آية: ٧)، وقوله سبحانه في سورة الزخرف:** ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ **(آية: ٧١) وقوله سبحانه في سورة آل عمران:** ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ **(آية: ١٤).**

والحب يقوم على العلم لقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ **(آية: ٢١٦).**

لذلك يكتسب الحب بنفس أدوات تحصيل العلم، وهي السمع، والبصر، والفؤاد الذي هو عمل القلب، ولهذا يمكن التحكم فيه بنفس وسائل تحصيله من حيث المنع، أو التحول عنه وقد أثبت العلم الحديث أن في مخ الإنسان مركز مسؤول عن الوجدان، وأنه يرتبط بالصورة، وهو ما يؤكد أن الحب يرتبط بالبصر كما يرتبط بالأذن والفؤاد، الأمر الذي يجعلنا أكثر تفهما لقول الله تعالى في سورة النور: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ **(آية: ٣٠).**

وأهم الأدلة على الحب فـى القرآن الكريم، هى أن يؤثر المحب المحبوب على نفســه، لقوله تعالى فى سورة الحشر: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (آية: ٩).

وأخطــر ما فى الحــب حينما يكون من طرف واحــد ، لقوله تعالى فى ســورة آل عمران: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ (آية: ١١٩)، وذلك لأن ما رأيته أنت فيمن أحببته، لم يراه هو فيك، أو أصبح لا يراه فيــك. لذلك فإن الحــب فى حاجة دائما إلى الــذكاء، والعطاء المتبادل، لأن الحــب لا يعيــش إلا إذا كان هناك حرص مــن الطرفين على ذلك، وفى الحقيقة الحب يستحق أن نجتهد كى يعيش ويدوم، لأنه ببساطة يمنحنا متعة الحياة، ويساعدنا على تحمل قسوتها أحيانا.

وتكمــن خطورة الحب مــن طرف واحد حينما يلجأ الإنســان إلى الخيال ليعوض به حرمان الواقع فيتصاعد للأســف الشحن العاطفى. وقد ثبت علميا أن هــذا الشــحن العاطفى يؤدى إلى تفاعل كيميائــى يفعل نفس فعل الإدمان، فتتعقد المشــكلة، ولما كان البعيد عن العين بعيد عن القلب، ولما كانت الوقاية خــيرا من العلاج فقد جعل القرآن الكريــم الوقاية فى غض البصر لقوله تعالى فى سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (آية: ٣٠ – ٣١) أما العلاج فقد جعله ســبحانه فى الصبر حيث يقول ســبحانه فى سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ﴾ (آية: ٢٠).

وللحب فى القرآن الكريم درجات يتصاعد إليها، فقد يصعد (الحبيب) إلى درجة (الأحب) لقوله تعالى فى سورة يوسف: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ (آيـة: ٨)، وقد يصعد (الأحـب) إلـى درجة (الحب الشديد)، لقوله سـبحانه فى سورة العاديات: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ (آية: ٨)، أمـا أعلى درجات الحب فهو (الحب الأشد)، لقوله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (آية: ١٦٥)، وكما هو واضح من الآية السـابقة أن حب الله عـز وجل يأتى على رأس كل درجات الحب، وهو ما تؤكد عليه سـورة التوبة حيث تكشـف الآيات أن حب الله ورسـوله وحب الجهاد يأتى على رأس كل حالات الحب ثم يأتى بعد ذلك الترتيب التنازلى للأحباب فى القرآن الكريم من الآباء إلى الأبناء إلى الإخوة إلى الأزواج إلى العشـيرة إلى الأموال إلى التجارة وأخيرا إلى المسـكن لقوله تعالى فى سـورة التوبة ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (آية: ٢٤).

وقد يتطرف الحب، ويتحول إلى حالة غير سوية، وفى القرآن سبع حالات من الحب الذى ينطوى على فتنة ويحتاج إلى مقاومة وصبر.

الحالة الأولى: التى يتخذ فيها الإنسان ندا لله لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (آية: ١٦٥).

أمـا الحالة الثانية: فهى حالة الحب (الجم)، وهى حالة حب المال الذى يطغى على كل شـىء فيمنعه من أن يقدم لحياته، فيقول سبحانه فى سـورة الفجر: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ (آيـة: ٢٠ – ٢٤).

والحالة الثالثة: هى حالة الحب (الشغوف)، وهو الحب الذى يصل بالمرأة إلى أن تراود الرجل عن نفسه، فيقول عز وجل فى سورة يوسف: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (آية: ٣٠).

والحالة الرابعة: حب العاجلة (الحياة الدنيا على الآخرة)، فيقول سـبحانه فى سـورة القيامـة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ (آية: ٢٠ – ٢١).

والحالة الخامسـة: هى حب شـيوع الفاحشـة، لقوله عز وجل فى سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ (آية: ١٩).

والحالة السادسة: هى حب العمى على الهدى، لقوله تعالى فى سورة فصلت: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ (آية: ١٧).

والحالـة السـابعة: حب الإنسـان للمحمده لقوله تعالى فى سـورة آل عمران: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ (آية: ١٨٨).

ويكشف القرآن الكريم عن الذين يحبهم الله عز وجل من عباده، وهم المتقون لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (آية: ٧٦).

والمتبعون لرسول الله لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آية: ٣١).

والمحسنون لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آية: ١٩٥).

والتوابون والمتطهرون لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (آية: ٢٢٢).

والصابرون لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آية: ١٤٦).

والمتوكلون لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آية: ١٥٩).

والمقسطون لقوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (آية: ٤٢).

والذين يقاتلون فى سبيله لقوله تعالى فى سورة الصف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ (آية: ٤).

والأذلة علـــى المؤمنين أعزة علـــى الكافرين المجاهدون فى ســـبيل الله لقوله تعالى فى ســـورة المائـــدة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ (آية: ٥٤).

الحـــج

إن هذا الوجـــود الذى لا تعارض فيه ولا تدافع لأكبر دليل على أنه لا إله مع الله، مصداقا لقوله سبحانه فى سورة الأنبياء:
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (آية: ٢٢) وقوله عز وجل فى ســورة المؤمنون: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (آية: ٩١).

ولما كان الشــرك بالله هو السر الكامن وراء كل انحراف لقوله تعالى فى ســورة الجاثية ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ (آية: ٢٣).

لهذا كانت قضية التوحيد فى مسـيرة الرســل الكــرام هى القضية الكبرى. فنرى فى قصة نوح عليه السلام قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة هود آية: ٢٥ – ٢٦) وفى قصة إبراهيم عليه السلام يقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ

يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ **(سورة الشعراء آية: ٧٠ – ٨٢).**

وهكذا فى قصة موسى وعيسى ومحمد وسائر الأنبياء والمرسلين – عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين – ولا غرو فهم يأخذون من منبع واحد ويهدفون لغاية واحدة حيث يقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ **(سورة الأنبياء آية: ٢٥).**

وقد كان طبيعيا أن يعلنها الإسلام صريحة مدوية على الناس جميعا، وهو الرسالة الخاتمة، أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن يتخذ من ذلك يوما يجعله تجسيدا لعقيدة التوحيد فى مسيرة تأتى من كل فج عميق مرددين: لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

لذلك جعل الله الحج: هو الإتيان إلى البيت الحرام فى أشهر معلومات لقضاء مناسكه لقوله تعالى فى سورة الحج: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ **(آية: ٢٧) وقوله سبحانه فى سورة آل عمران: ﴿** وَلِلَّهِ عَلَى

ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ (آية: ٩٧)، وقوله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (آية: ١٩٧ – ٢٠٠).

والأمر الملفت للنظر أن فريضة الحج، لم يخص بها القرآن الكريم المسلمين وحدهم، بل جاء الأمر الإلهى ليشمل الناس جميعا حيث يقول سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ **(سورة آل عمران آية: ٩٧)، أما قول الله تعالى فى سورة التوبة** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ **(آية: ٢٨)، فإن هذا النص الكريم لا يتعارض مع النص الذى سبقه، بل إنهما فى الحقيقة يتكاملان، حيث إن الأول فرض الحج على كل الناس بما فيهم المشركين حتى يدرك الجميع أن إله المسلمين الواحد الذى فرض الحج، هو إله الجميع، أما حرمان المشركين من دخول البيت الحرام، فإنما يفسره قوله تعالى فى سورة آل عمران:** ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آية: ٩٧)، أى إنه إذا كان للحج موانع شـرعية، فإنه فى ذات الوقت قد جعل الإسـلام على رأس أسباب وجوب الحج، وبذلك يكون حرمان المشـركين من دخول البيت الحرام، هـو فى حقيقة الأمر دعوة لهم إلى الإسلام، لكنها هى دعوة العزيز لعبده الشارد.

وإذا كان الله سـبحانه قد اتخذ من الحـج موسما لرحمته بالمؤمنين حيث يفيض الحجيج مـن عرفات مغفورا لهم ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة الحج آية: ٣٢) لذلك كان الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، كما تتيح هذه المسيرة المباركة للحجيج أن يشـهدوا منافع لهم، فإنه سبحانه اتخذ من الحج موسما يجدد فيه دعوة المشركين إلى دين التوحيد، ويبرئ الله ذمته وذمة رسوله من الشرك ويحمل المشركين مسؤولية شركهم حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ (سورة التوبة آية: ٣).

الحسـد

الحسد فـى القرآن الكريم هو شـر، لقوله تعالى فى سـورة الفلق: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (آيـة: ٥)، ويكشـف القرآن الكريم أن شـر الحاسـد يتصاعد فى ثلاث مراحـل، فإذا كانت المرحلـة الأولى هى التـى يتولد فيها الشـر، فإن فى المرحلـة الثانية يتصاعد الشـر فى نفس الحاسـد فيـود رد الفضل عن المحسـود وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سـورة البقـرة: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (آيـة: ١٠٩)، وإذا كنا نفهم من النص السـابق أن المؤمن يحسـد على إيمانه، فإن الناس بصفة عامة قد يحسـدون على ما أتاهم الله من فضل، وهذا ما نفهمه أيضا من قوله عز وجل فى سورة النساء: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (آية: ٥٤).

أما المرحلة الثالثة فهى التى يعمل فيها الحاسد على منع الفضل عن المحسـود ليحصل على هذا الفضل لنفسه، وهذا ما تكشف عنه أحداث غـزوة خيبر، والتى سـجلها القرآن الكريم فى سـورة الفتح، فتضيف بذلك بعدا ثالثا للحسد. فقد كان يهود خيبر يكنون العداوة للمسلمين، بل ويتحينون الفرصة للنيل من المسـلمين، فلما عاد المسـلمون من صلح

الحديبيـــة دون أن يتمكنـــوا من أداء العمرة وقبلوا شـــروط الصلح والتى كانت فى ظاهرها بعض الإجحاف بالمســـلمين، فظن يهود خيبر أن ذلك لم يكـــن إلا عن ضعف فأرادوا أن يســـتغلوا الظـــروف فبعثوا إلى غطفان ليعاونوهم على القضاء على المســـلمين نظير نصف ثمار خيبر إن تم لهم النصر على المسلمين.

ولما كان الهجوم خير من الدفاع فى حالة افتقاد وســـائل الدفاع التى تمكن من صد هجوم متوقع خرج رســـول الله – ﷺ – على رأس المسلمين الذين عادوا معه من شـــهر واحد من الحديبية، وكانوا ســـتمائة وألف رجـــل بينهم مائتـــا فارس، حيث توجهوا جميعـــا إلى موضع من أرض غطفـــان يربط بين غطفان وخيبر، وذلك ليحولـــوا بين تعاون غطفان مع خيـــبر، وإيهام غطفان بـــأن الهجوم موجه ضدهم، الأمـــر الذى اضطر قبيلـــة غطفان إلى الإســـراع بالعودة إلى ديارهـــا لحمايتها من أى هجوم للمســـلمين وتركوا يهود خيبر وحدهم، فتوجه الرســـول والمسلمون إلى خيبر بعد أن أرسل قوة من المسلمين لمباغتة ديار غطفان.

ولما كانت خيبر تضم ثلاث مجموعات من الحصون المنيعة، استمات المســـلمون فى الهجـــوم حتى بلغ عدد جرحى المســـلمين فى اليوم الأول خمسين جريحا، وبرغم استماتة اليهود أيضا فى الدفاع عن حصونهم، إلا أنهم لم يســـتطيعوا منع تساقط الحصون بيد المسلمين، وانتهى الأمر باستســـلام يهود خيبر بشرط حقن دمائهم، وإبقائهم على أرضهم على

أن يكـون لهم نصف ثمرهـا مقابل عملهم فيها، لأن موقف المسـلمين لم يكن يسـمح بالاسـتغناء عن أعداد منهم للتفرغ للزراعة، لحاجتهم لمواجهة عدوان القبائل عليهم.

ولما كانت مغانم هذه الحرب كبيرة لما هو معروف من ثراء اليهود، فقد حرص الأعراب أن يتبعوا المسـلمين فى جمع المغانم، لكنهم منعوا من ذلك بأمر من الله عز وجل عقابا لهم على تخلفهم السـابق عن المسير مع المسـلمين للحرب بحجة واهية، ويسـجل القـرآن الكريم لهم هذا الموقف، فى سـورة الفتح فيقول سـبحانه: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ (آية: ١١ – ١٣).

ولقـد كان طبيعيا أن يترتب على تخلف الأعـراب عن الخروج مع المسـلمين للحرب، أن يمنعوا من الخروج فى تلك الحرب التى سيحصل منهـا المسـلمون على مغـانم كثيرة، لكن نفسـية هـؤلاء المنافقين من الأعراب، فسـرت منع المسلمين لهم، التفسير الذى يتفق مع ما تنطوى عليه نفسـيتهم من شـر، فادعوا أن المسـلمين منعوهم من اتباعهم فى أخذ مغانم خيبر، لتكون خالصة للمسـلمين، فيقول سبحانه فى سورة

الفتح: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ **(آيـة: ١٥).**

وإذا كان القـرآن الكريم قد سـجل علـى المنافقين هذا الإدعـاء الباطل الذى ادعوه على المسـلمين، فإنه فى نفس الوقت، قد كشـف عن أعلى مراحل تطور الحسـد فى نفسية الحاسـد، وهو العمل على منع الفضل عن المحسـود وينبهنـا القرآن الكريم أنه فـى كل الحالات يجب على المحسـود أن يسـتعيذ بالله العلى العظيم من شـر الحاسد، لقوله تعالى فى سورة الفلق: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ **(آية: ١ – ٥).**

الخمـر

الخمر فـى القـرآن الكريم، هـو عصـارة، لقوله تعالى فـى سـورة يوسـف: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ (آية: ٣٦)، وتكشـف الآيات أن من هذه العصارة ما يتخذ للسكر، ومنه ما هو رزق حسـن، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سـورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ (آية: ٦٧). كما تكشف الآيات الكريمة أن من الخمر ما يسقى، لقوله سبحانه فى سورة يوسف ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ (آيـة: ٤١) ومن الخمر ما يشرب، لقوله عز وجل فى سورة محمد: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ (آية: ١٥)، ولما كان الواضح من النص السـابق أن الخمر الذى يشرب، هو اللذة للشاربين، فإنه يكون الخمر الذى يسقى، هو الخمر المسكر.

وتتناول الآيات الكريمة الأدلة على النوع المسـكر من الخمر فيقول سـبحانه فـى سـورة المائـدة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ (آية: ٩١)، والواضح أن حالة السـكر التى تترتب على شـرب الخمر على رأس أسباب الصد عن الصلاة لقوله عز وجل فى سورة النساء: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ (آية: ٤٣).

ويتسع مفهوم الخمر فى القرآن الكريم ليشتمل على المشروبات الكحولية والمخدرات أيضا، فقد كشفت الدراسات الحديثة، أن المخدرات تستخلص جميعها من عصارة، شأنها فى ذلك شأن المشروبات الكحولية. فشجيرات الخشخاش: يخرج من تشريط ثمارها سائل أبيض لا يضر، ولكن عندما يترك للجو يتفاعل ما بداخله من الإنزيمات ويتحول إلى عصارة لزجة بنية اللون ثم سوداء نفاذة الرائحة هى الأفيون الخام ثم يستخرج منه الهيروين وهو شديد التركيز شديد الفتك.

ولما كان شرب الخمر يسبب إدمانا لشاربه، فقد تدرج القرآن الكريم فى نزول الآيات التى تتناول الخمر حتى تشتمل على علاج من أدمن شرب الخمر، فكان أول ما نزل من الآيات، قوله تعالى فى سورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (آية: ٦٧).

وبعد أن هاجر الرسول الكريم إلى المدينة، وكان الخمر فيها شائعا أكثر من شيوعه بمكة، فذهب بعض الصحابة إلى رسول الله - ﷺ - يقولون: أفتنا فى الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة للمال، وينزل الوحى الكريم، بقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ (آية: ٢١٩). ثم بعد فترة من الزمن صنع الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف طعاما، ودعا بعض أصحاب النبى - ﷺ - وأتاهم بخمر فشربوا، وحضرت صلاة المغرب، فتقدم أحدهم يصلى بالمدعوين،

وفى الغالب كان الإمام هو عبد الرحمن بن عوف فقرأ سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ (آية: ١) دون أن يقرأ (لا) فقرأها: (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) إلى آخر السورة، وقد كانت هذه الحادثة سببا فى نزول الوحى الأمين بقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (آية: ٤٣).

ثم تأتى المرحلة الأخيرة، بهذا القول القاطع فى شأن الخمر فى سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ (آية: ٩٠ – ٩١). وكان ذلك سنة ست أو ثمان من الهجرة على خلاف بين العلماء.

وأخيرا، وبعد هذا العرض لموقف القرآن الكريم من الخمر، يمكننا أن نتعرض للسبب الذى جعل القرآن لم ينص صراحة بتحريم الخمر تحريما عاما مطلقا، لأن الخمر إما أنه عصائر، لذة للشاربين، وإما أنه عصائر تستخدم فى بعض الحالات العلاجية أو العمليات الجراحية، لذلك فإنه اكتفى بأن يأمر من يشربون النوع الثانى من العصائر التى تحولت إلى رجس بأن ينتهوا، وإلا كانوا ممن يعصون الله ما أمرهم به، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأخــوة

الأخ في القرآن الكريم هو من الأهل، لقوله تعالى في ســورة طه: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ﴾ (آية: ٢٩ - ٣٠)، والأخ هو ابن الأم لقوله سبحانه في سورة الأعراف: ﴿ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ ﴾ (آية: ١٥٠)، والأخ هو ابن الأب، لقوله عز وجل في سورة يوســف: ﴿ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡ ﴾ (آية: ٥٩)، ويكشف القرآن الكريم أن المؤمن أخ أيضا، فيقول جل شــأنه في سورة الحجرات ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ (آية: ١٠).

لذلك كان من اليســير على النبي أن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار عقب الهجرة إلى المدينة ويسجل القرآن الكريم تلك المؤاخاة التاريخية، في قوله سبحانه في سورة الحشر: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٩) ﴾ (آيــة: ٩). وهكــذا يســجل النص الكريم حــق الأخ على أخيه المؤمن، وهو حبه وأن يؤثره على نفسه، ولو كان به حاجة.

وفي هذا المعنى يقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مســلم كربة

فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» كما يقول عليه الصلاة والسلام: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا» ويقول ﷺ: «مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

ولما كان التنازع على رأس أسباب قطع روابط الإخاء، فقد جعل القرآن الكريم من حقوق الأخوة عدم التنازع، فيقول سبحانه فى سورة الأنفال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (آية: ٤٦). ومن حق الأخ على أخيه المسلم أن يصلح بين الأخوين، فيقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ (سورة الحجرات آية: ١٠).

كما أنه من حق الأخ على أخيه المسلم الدعاء له، فيقول سبحانه فى سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (آية: ١٠).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلا زار أخا له فى قرية، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟. قال: أريد أخا لى فى هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربِّها ؟ قال: لا. غير أنى أحببته فى الله، قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

أرذل العمر (الزهايمر)

أرذل العمر فى القرآن الكريم حالة تصيب بعض الناس فى مراحل مختلفة من مراحل أعمارهم، ويكشف النص القرآنى أن الحالة تتطور فى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى منها تظهر أعراضها على الإنسان فى عدم القدرة على الفهم الصحيح الذى يجعل حكمه يعتمد على الظاهر، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم فى سورة هود بُبُدوِّ الرأى فى قوله تعالى: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ (آية: ٢٧).

والمرحلة الثانية هى عبارة عن مزيد من تدهور المرحلة الأولى حيث تظهر الأعراض فى عدم قدرة الإنسان على مواصلة التعلم، فيقول سبحانه فى سورة النحل: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (آية: ٧٠).

أما المرحلة الثالثة فتظهر أعراض المرض فى فقدان ما تعلمه الإنسان من قبل، وهذا ما يقرره النص الكريم فى سورة الحج: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ (آية: ٥).

والمدهش حقا أن يأتى ترتيب السور التى وردت فيها مراحل المرض بنفس ترتيب تطور المرض، فتأتى سورة هود فى القرآن الكريم قبل سورة النحل وسورة الحج بعدهما.

والقــرآن الكريــم برغم أنه ربط بين المــرض والعمر، فإنه لم يحدد عمــرا معينا لبداية ظهــور الأعراض، وهذا إن دل فإنمــا يدل على أن المرض يتفاوت ظهور أعراضه من عمر إنسان إلى عمر إنسان آخر.

وأخيرا إذا كان القرآن الكريم قد كشــف أن المرض يتطور فى ثلاث مراحل فإن يمكن أن نفهم منه أن اكتشاف المرض مبكرا قد يمنع تدهور الحالة، أو تطورها إلى المرحلة الأســوأ، وخاصــة وأن القرآن الكريم قد نــص على أن كل الأمراض قابلة للشــفاء، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ (سورة الشعراء آية: ٨٠).

الشقـاء

الشقاء ضد السعادة، لقوله تعالى فى سورة هود: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ (آية: ١٠٥ – ١٠٧).

والشقاء، هو ما يغلبك من الطغيان، لقوله تعالى فى سورة المؤمنون: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ (آية: ١٠٦)، وقوله سبحانه فى سورة الشمس: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ (آية: ١١ – ١٢).

ويكشف القرآن الكريم أن السبب الرئيسى فى شقاء الحياة الدنيا هو السعى فى طلب حاجتنا المعيشية، فيقول تعالى فى سورة طه: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ (آية: ١١٧ – ١١٩).

وإذا كان القرآن الكريم، قد كشف لنا عن السبب فى شقاء الحياة الدنيا، إلا إنه قد كشف لنا فى نفس الوقت عن مبدأ اقتصادى هام، وهو الترتيب التنازلى للحاجات المعيشية، لنسترشد بها عند توزيع دخل الأسرة، أو دخل الدولة على أعباء الحياة، فالطعام يتقدم على كل متطلبات المعيشة، والملابس تأتى فى المرتبة الثانية، ثم يأتى الماء فى المرتبة الثالثة، وأخيرا يأتى السكن.

وهنا ربما يقول قائل كيف تتقدم حاجتى إلى الماء على حاجتى للسكن وتكاليف السكن تفوق تكاليف الماء بكثير. نقول إن السبب ليس هو تكاليف مادية فقط، وإنما هو أيضا الجهد اليومى للحصول على الماء، أما الجهد المادى، فإنه يجب ألا تحتسب ما يدفع للسكن على أنه لفرد واحد، أو جيل واحد، وإنما يجب أن تحتسب نصيبك فقط من هذه الرحلة الطويلة، وهنا سيتبين لك أنه بحق هو أقل تكاليف الحاجات المعيشية، وإن تحملت أنت وحدك تكاليف حاجات أجيال بعدك.

لكن القرآن الكريم عاد فكشف عن شقاء آخر غير شقاء المتطلبات الأساسية للحياة المعيشية، فيقول سبحانه فى سورة طه: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ (آية: ١٢٣ – ١٢٤).

وكما هو واضح من النص الكريم أن هذا الشقاء ليس بسبب متطلبات المعيشة، وإنما بسبب الضلال، والذى سيضيف إليهم شقاء إلى شقائهم يضاعف من معاناتهم، فيقول سبحانه فى سورة يونس: ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا ﴾ (آية: ١٠٨).

فمن معاناة الضلال فى القرآن الكريم:

أولا: ضيق الصدر، لقوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾ (آية: ١٢٥).

ثانيا: عمى الطغيان، لقوله سبحانه فى سورة الأعراف: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ **(آية: ١٨٦).**

ثالثا: القنوط من رحمة الله، لقوله عز وجل فى سورة الحجر: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ **(آية: ٥٦).**

رابعا: اتباع الهوى، لقوله تعالى فى سورة القصص: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ **(آية: ٥٠).**

خامسا: الشقاق، لقوله سبحانه فى سورة فصلت: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ **(آية: ٥٢).**

سادسا: قسوة القلب، لقوله عز وجل فى سورة الزمر: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ **(آية: ٢٢).**

سابعا: عمى الضلالة، لقوله تعالى فى سورة النمل: (﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ **(آية: ٨١).**

ثامنا: عصف الريح بأعمالهم، لقوله سبحانه فى سورة إبراهيم: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ **(آية: ١٨).**

تاسعا: الشهوة التى تصل إلى تراود المرأة والرجل عن نفسهما، لقوله عز وجل فى سورة يوسف: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ **(آية: ٣٠).**

الشيطــان

إذا كان آدم عليه السلام، هو الإنسان الأول فى القرآن الكريم، فإبليس هو الشيطان الأول وذلك بعد أن وسوس لآدم وزوجه، وغـرر بهما حتى زلا، وهكذا كانت عداوة الشيطان للإنسان عداوة تاريخية بدأت منذ بدأ تاريخ الإنسان، فيقول تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آية: ٣٥ – ٣٦)، وللتأكيد على عداوة الشيطان للإنسان تتكرر آيات القرآن الكريم والتى تنص صراحة على ذلك، منها قول الله تعالى فى سورة يوسف: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (آية: ٥) ونفس المعنى فى سورة الإسراء: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (آية: ٥٣). لذلك كان طبيعيا أن يأمرنا المولى عز وجل بألا نتبع خطوات الشيطان، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (آية: ٢٠٨). بل والأكثر من هذا يأمرنا جل فى علاه أن نتخذ الشيطان عدوا، فيقول سبحانه فى سورة فاطر: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (آية: ٦).

وإذا كان إبليس هو أول الشياطين، فإنه كان من الجن من هم شياطين مثله، وللأسف كان من ذرية آدم من هم شياطين أيضا، وهذا ما نفهمه من قول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (آية: ١١٢). وقوله سبحانه فى سورة الناس: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ (آية: ٤ – ٦).

وإذا كان الشيطان هو من يوسوس ويغرر، فإنه يحاول أيضا مع الملأ الأعلى أن يسترق السمع، فيقول تعالى فى سورة الصافات: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (آية: ٦ – ١٠)، ويكشف القرآن الكريم عن حقيقة هامة وهى أن الشيطان كافر، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ (آية: ١٠٢).

والشيطان ليس له على الإنسان سلطان، وهذا ما تقرره آيات القرآن الكريم، فيقول تعالى فى سورة إبراهيم: ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ ﴾ (آية: ٢٢)، ويكشف القرآن الكريم أن هؤلاء الذين استجابوا، إنما هم من الغاوين، لقوله سبحانه فى سورة الحجر:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ **(آيــة: ٤٢)، كمــا يكشــف النص الكريــم أن الذى جعل للشــيطان على هؤلاء ســلطان هو طغيانهم، فيقول عز وجل فى سورة الصافات:** ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ **(آية: ٣٠).**

أما المؤمنين فليس للشــيطان عليهم ســلطان، حيث يقول ســبحانه فــى ســورة النحــل: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ **(آيــة: ٩٩)، كما أننا نفهم من القــرآن الكريم، أن كيد الشــيطان بصفة عامة ليس قويا، فيقول عز وجل فى سورة النساء:** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ **(آية: ٧٦).**

وإذا كان الشــيطان ليس له ســلطان على المؤمنين إلا إنه له مداخل عليهــم: يقول تعــالى فى ســورة الأعــراف: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ **(آية: ٢٧). ويقول ســبحانه فى سورة المائــدة:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ **(٩٠ – ٩١)، ويقــول فى ســورة الأنعــام:** ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ

ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ **(آيــة: ١٢١)، ويقول عز وجل فى ســورة الأعــراف:** ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ **(آية: ٢٠٠ – ٢٠١).**

ويقول تعالى فى سورة يوسف: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ ﴾ **(آيــة: ١٠٠)، ويقول ســبحانه فى سورة الأنعام:** ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ **(آية: ٦٨)، ويقول فى ســورة الإسراء:** ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ **(آيــة: ٥٣)، ويقول عز وجل فى ســورة النــور:** ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾ **(آية: ٢١)، ويقول تعالى فى ســورة المجادلة:** ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ **(آية: ١٠). وهـذه كلها هى مداخل الشيطان إلى المؤمنين.**

وإذا كان الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين، فإن الشيطان هو الذى سول للمرتدين، فيقول سبحانه فى سورة محمد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ (آية: ٢٥)، ويكشف تتابع الآيات فى نفس السورة أن السبب الرئيسى هو أن المرتدين أطاعوا أعداء الإسلام فى بعض الأمر، كما أنهم نفسيا كرهوا رضوان الله، وفى هذا يقول عز وجل فى سورة محمد: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ (آية: ٢٦ – ٢٨)، وطبيعى أن يكون كره المرتدين لرضوان الله يشتمل على كرههم أن يعملوا ما يرضى الله، وأيضا كرههم للموت وللجنة ما دامت تتطلب أن يعملوا ما يرضى الله، وهذا أحبط ما عملوا من خير فى حياتهم الدنيا.

أما الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فيقول تعالى فى سورة مريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ (آية: ٨٣)، فقد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فيقول سبحانه فى سورة الأعراف: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (آية: ٣٠)، هؤلاء

يكون الشيطان قرينا لهم، فيقول تعالى فى سورة النساء: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾﴾ **(آية: ٣٨)، وهو أيضا وليهم، فيقول سبحانه فى سورة النحل:** ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ **(آية: ٦٣)، ويقول عز وجل فى سورة النساء:** ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ **(آية: ١١٩ - ١٢٠).**

كما يكشف القرآن الكريم أن الشيطان يخوف أوليـاءه، فيقول تعالى فى سورة آل عمران: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ **(آية: ١٧٥)، كما يصد أتباعه عن السبيل، فيقول سبحانه فى سورة النمل:** ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ **(آية: ٢٤)، ويقول سبحانه فى سورة المجادلة:** ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ **(آية: ١٩)، ويقول سبحانه فى سورة الأنفال:** ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ

وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ **(آيــة: ٤٨)، ويقــول عز وجل فى ســورة فاطر:** ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ **(آيــة: ٦)، ويقول ســبحانه فى ســورة يــس:** ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ **(آيــة: ٦٠)، كمــا يقول عز وجل فى سورة النســاء:** ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ **(آية: ٣٧ – ٣٩).**

وأخــيرا، فــإن القرآن الكريم حــرص على أن يعــدد النصح للناس جميعــا حتى لا يكون للشــيطان أى أثر ينعكس عليهــم، فيقول تعالى فى ســورة البقــرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ **(آية: ١٦٨ – ١٦٩)، ويقول سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ **(آيــة: ٢٦٨)، ويقول عز وجل فى سورة الإسراء:** ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ

كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (آية: ٢٧)، ويقول تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آيــة: ٣٦)، ويقول سبحانه فى سورة القصص: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (آية: ١٥)، ويفهم من النص الكريم أن القتل من عمل الشيطان، ويقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ (آية: ٢٧٥).

وأخيرا، وإذا كان الشيطان للإنسان خذولا، فإنه فى الآخرة أشد خذلانا بعد أن فوت عليهم فرصة الحياة الدنيا، فيقول عز وجل فى سورة إبراهيم: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (آية: ٢٢).

الصــلاح

الصلاح ضــد الســوء، لقوله تعالى فى ســورة غافر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (آية: ٥٨).

والصلاح: هو حسن العمل، لقوله تعالى فى سورة الكهف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ (آية: ٣٠).

ولما كان القرآن الكريم حريصا كل الحرص على صلاح الناس، فقد كشف عن أساس صلاح الفرد والجماعة، فجعل قاعدة الصلاح، تبدأ من الإنسان نفسه، فيقول سبحانه فى سورة الروم: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (آية: ٤٤)، كما يقول عز وجل فى سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (آية: ١٠٥).

وطبيعى أن يحرص الإسلام كل الحرص على ألا يكلف نفسا إلا وسعها، فإنه لم يطالب الإنسان بالصلاح إلا بقدر الاستطاعة، فيقول سبحانه فى سورة هود: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ (آية: ٨٨).

وينبه القرآن الكريم بداية أنه إذا كان الكلم الطيب من الصلاح، فإنه لا يرفعه إلا العمل الصالح وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سورة فاطر: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (آية: ١٠).

ويكشف القرآن الكريم عن الصفات التى يتحلى بها كل الصالحين، فهى التصدق والمعروف والإصلاح بين الناس، فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (آية: ١١٤)، أما الصفة التى تتفاوت بين المصلحين، فهى صفة السرعة فى الاستجابة لعمل الخير، فيقول سبحانه فى سورة آل عمران: ﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آية: ١١٤)، فنفهم من قوله تعالى (وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) أن البعض منهم لا يسارعون فى الاستجابة لعمل الخير، والسبب فى ذلك يكشف أيضا عنه القرآن الكريم فى قوله عز وجل فى سورة التوبة: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ (آية: ١٠٢)، ويبشر الله جميع الصالحين أن لهم أجرا كبيرا؛ فيقول تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ (آية: ٩).

وللأسف أن القرآن الكريم يكشف لنا أن الصالحين فى مجموعهم قلة بين الناس، فيقول سبحانه فى سورة ص: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (آية: ٢٤).

ولما كان من فضل الله على عباده، أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، لذلك فإن الإنسان الصالح يتفضل الله عليه بالخير، فيقول سبحانه فى

سورة النساء: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ (آية: ١٢٨)، وأن الله هو مولاه، لقوله تعالى فى سورة التحريم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ (آية: ٤)، كما أنه سينعم عليه بالحياة الطيبة، فيقول سبحانه فى سورة النحل: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ (آية: ٩٧).

كما أن الإنسان الصالح موفق فيما يعمل، فيقول عز وجل فى سورة النساء ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ (آية: ٣٥)، ويكشف القرآن الكريم أن العمل الصالح للآباء يرحم الأبناء، حيث يقول سبحانه فى سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ (آية: ٨٢) ويفهم من النص الكريم أن الذى حفظ الكنز هو صلاح الأب.

ولما كان اليتامى بفقدانهم أباءهم أصبحوا عرضة للانحراف، لأن هناك فرق بين مفهوم الصلاح، والذى هو احتفاظ الفرد بفطرته السوية، وبين الإصلاح، والذى هو يعالج ما فسد من الإنسان، ولهذا يدعونا القرآن الكريم إلى العمل على إصلاح اليتامى، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ﴾ (آية: ٢٢٠).

كما يكشف القرآن الكريم عن أمر آخر فى غاية الأهمية يجنيه الصالحون فى الحياة الدنيا، وهو تجنبهم الهلاك، لقوله تعالى فى سورة هود: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (آية: ١١٧).

أما جزاء الإنسان الصالح فى الآخرة، فهو لقاء الله عز وجل، حيث يقول سبحانه فى سورة الكهف: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (آية: ١١٠) كما أن الإنسان الصالح لا يخاف يوم القيامة ظلما ولا هضما، فيقول تعالى فى سورة طه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ (آية: ١١٢)، وأخيرا يتفضل عليه ربه بدخول الجنة، فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ (آية: ١٢٤).

الصـوم

الصوم

هو الأكل والشـرب حتـى يتبين الخيط الأبيـض من الخيط الأسـود من الفجر ثم إتمـام الصيام إلى الليـل، لقوله تعالى فى سـورة البقرة: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ (١٨٧). وهكـذا يكون الصوم سـلوكا وضع القـرآن الكريم إطـاره الجامع لليل الصائم ونهـاره... ومن هذا التعريف الدقيق للصوم نفهم أن الوصال فى الصيام ليس من الصوم فى شىء، والصوم قـد يكون أيضا بعدم الـكلام، لقوله تعالى فى سـورة مريم ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (آية: ٢٦).

والصوم بالإمسـاك عن الأكل والشـرب مـن الفجـر إلى الليل بنية الصيـام قبل الفجر، هـو الذى فرضه الله عز وجل علـى المؤمنين طوال شـهر رمضان، لقوله تعالى فى سـورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ ﴾ (آيـة: ١٨٣

– ١٨٥). ويفهم من هذا النص الكريم، أن نفس الصوم الذى فرضه الله تعالى على المسلمين هو ذاته الذى فرضه على الذين من قبلهم، وأنه سبحانه لم يكلفهم بأكثر مما كلف به من سبقوهم، وإن كان فى ذات الوقت يذكر الذين سبقوا المؤمنين بالصوم بأنه هو الذى فرض عليهم، وأنه سبحانه لم يختص المؤمنين بما هو أيسر، وذلك هو ما نفهمه من ذكر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (سورة البقرة آية: ١٨٣).

ويبيح القرآن الكريم الفطر للمسافر والمريض، على أن يقضى كل منهما أياما فى غير رمضان بعدد ما أفطر، لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (سورة البقرة آية: ١٨٤)، كما يبيح الفطر لمن يعجز عن الصيام لشيخوخته أو مرض لا يرجى الشفاء منه، ولا قضاء عليه، لقوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (سورةالبقرة آية: ١٨٤)، وقد اختلف العلماء فى الفدية، فمنهم من قال لا فدية عليه، ومنهم من أوجب الفدية، وهى إطعام مسكين عن كل يوم. وفرض الله عز وجل صوما آخر غير صوم رمضان كفارة لبعض الذنوب وهى أربع:

أولا: القتل الخطأ، لقوله تعالى فى سورة النساء ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ

فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ ﴾ (آية: ٩٢).

ثانيا: الذين يظاهرون من نسائهم، لقوله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ (آية: ٣ – ٤).

ثالثا: عدم حفظ الأيمان، لقوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (آية: ٨٩).

رابعا: فدية نسك، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ (آية: ١٩٦).

أما مكاسب صوم شهر رمضان فى القرآن الكريم فهى أربعة عشر مكسبا:

- **الإيمان بالله ورسوله: الصائم مؤمن بالله ورسوله لقوله تعالى فى سورة البقرة:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (آية: ١٨٣).

• **العفو: فى صيام رمضان يعفو الله عز وجل فلا يكون جزاء ما قد سلف من السيئات سيئات مثلها، فيقول سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ **(آية: ١٨٧).**

• **المغفرة: صائم رمضان مغفور له فلا يعذب على ذنب أو إثم فيقول سبحانه فى سورة الأحزاب:** ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً ﴾ **(آية: ٣٥).**

• **الطاعة: فى صيام رمضان طاعة لله عز وجل لقوله سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ **(آية: ١٨٤).**

• **العبادة: صائم رمضان عابد لله لقوله سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ **(آية: ١٨٦).**

• **الشكر: صائم رمضان شاكر لله لقوله سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى ﴾ **(آية: ١٨٦).**

• **الإجابة: صائم رمضان مجيب لله لقوله سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ **(آية: ١٨٦).**

• **الخير: والخير هو ما يصيب فتطمئن به، وصوم رمضان سبب فى الخير لقوله سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ **(آية: ١٨٤).**

• **القرب من الله عز وجل: صائم رمضان قريب من الله لقوله سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ **(آية: ١٨٦).**

• **إجابة الدعاء: صائم رمضان مجاب الدعوة لقوله تعالى فى سورة البقرة:** ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾ **(آية: ١٨٦).**

• **الأجر العظيم: لصائم رمضان أجر عظيم أعده الله له لقوله سبحانه فى سورة الأحزاب:** ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ **(آية: ٣٥).**

• **الهدى: صائم رمضان مهتدى لقوله تعالى فى سورة البقرة:** ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ **(آية: ١٨٥).**

• **التقوى: إذا التزم الصائم بشروط الصوم، وكان له من مكاسب الصوم السابقة كان صائم رمضان من المتقين لقوله سبحانه فى سورة البقرة:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ **(آية: ١٨٣). والتقوى هى مفتاح الفوز فى الدنيا، والفوز بالجنة.**

الضحك

الضحك في القرآن الكريم ضد البكاء، وهو من صنع الله في خلقه، لقوله تعالى في سورة النجم: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ (آية: ٤٣ - ٤٤). والضحك هو تبسم يستبشر به الوجه، لقوله سبحانه في سورة النمل: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ (آية: ١٩)، وقوله عز وجل في سورة عبس: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (آية: ٣٨ - ٣٩).

ومواقف الضحك في القرآن الكريم تسع منها ثماني في الحياة الدنيا، وموقف واحد في الآخرة.

أولا: الضحك من قول، لقوله تعالى في سورة النمل: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ (آية: ١٩).

ثانيا: الضحك من فرح، لقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (آية: ٨١ - ٨٢).

ثالثا: الضحك بشرا، لقوله عز وجل في سورة عبس: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (آية: ٣٨ - ٣٩).

رابعـا: الضحـك تعجبا من حديث، لقوله تعالى فى سـورة النجم:

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ **(آية: ٥٩ – ٦٠).**

خامسـا: الضحك من منظر خوف إنسـان، لقوله سبحانه فى سورة هود: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ **(آية: ٧٠ – ٧٣).**

سادسا: الضحك سخرية، لقوله عز وجل فى سورة المؤمنون: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ **(آية: ١٠٩ – ١١٠).**

سابعا: الضحك مما يعتقد أنه سحر، لقوله تعالى فى سورة الزخرف ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ **(آية: ٤٦ – ٤٨).**

ثامنـا: ضحك المجرمين من المؤمنين لاعتقادهم أنهم ضالون، لقوله سـبحانه فـى سـورة المطففـين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ **(آية: ٢٩ – ٣٢).**

أما فى الآخرة فسوف يضحك المؤمنون على الكفار لتلك النتيجة العكسية التى سيصطدم الكفار بها حيث كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأن أفعالهم فى الحياة الدنيا سيكون لها الثواب العظيم لكن المفاجأة تكون فى سورة الأحقاف فى قوله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (آية: ٢٠)، لذلك يضحك المؤمنون فيقول عز وجل فى سورة المطففين: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آية: ٣٤ – ٣٦).

وأخيرا فإن الضحك لم يخلقه الله عبثا – جل فى علاه – وإنما خلقه الله ليكون دليلا ماديا على حالة الإنسان النفسية، كما أثبت الطب الحديث، أن للضحك عدة فوائد، فالذين يضحكون يتمتعون بحالة صحية أفضل ممن لا يضحكون لأنه يفيد فى بناء الهرمونات المرتبطة بالسرور، كما يساعد على زيادة دفاعات الجهاز المناعى فى الأوعية الدموية.

العبـــادة

كل شـــىء فى الكون محكـــوم بعلاقات محـــددة بمنتهى الدقة، فنسبة الأكسيجين فى الهواء مثلا، لو قلت درجة واحدة عما هى عليـــه لاختنق كل من فى الأرض، ولو زادت درجة واحدة عما هى عليه لاحترق كل من فى الأرض.

والقرآن الكريم يكشف أن كل ما فى الحياة محكوم بنفس العلاقات الدقيقـــة، حيث يلفت نظرنا إلى أن كل شـــىء ونقيضـــه يفصلهما خيط رفيع، لو تعدى أى منهما درجة واحدة، انقلب الشـــىء لضده، فيقول ســـبحانه فى ســـورة البقـــرة: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾؛ (آيـــة: ١٨٧). فالـــذى يفصل بين الأســـود والأبيـــض خيط رفيـــع، لو تعدى أى منهما ذلك الخيـــط الرفيع لانقلب الأسود أبيض والأبيض أسود.

ولمـــا كانت علاقة الإنســـان بالحياة، هى علـــى رأس كل العلاقات، لذلك كان لابد من حسم قضية الخلق، فيقول عز وجل فى سورة الطور: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (آيـــة: ٣٥)، ولمـــا كانـــت الإجابة عن هذا التســـاؤل فى صالح الخالق سبحانه الذى لا شريك له، كنا فـــى حاجة إلى معرفة طبيعة علاقة المخلـــوق بخالقه، فيقول تعالى

فى سورة الذاريات: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (آيــة: ٥٦ – ٥٨)، وإذا كانــت هذه الآية الكريمة قد حددت حق الخالق على المخلوق فى أن يعبد المخلوق خالقه، فما هى هذه العبادة ؟

العبــادة هى اتخاذ ولى تخلــص لأوامر دينه لقوله تعالى فى ســورة الكهف: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ (آية: ١٠٢) وفى سورة البينة: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (آية: ٥).

ويكشف القرآن الكريم أن الناس أمام عبادة الله فريقان: فريق يعبد الله ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (سورة البقرة آية: ٢٨٥)، وفريق لا يعبد الله ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (سورة البقرة: ٩٣)، وطبيعى أن يكون لكل فريق رؤيته، والأسباب التى جعلته يتخذ هذا الموقف. أما عن الأسباب التى جعلت من الناس من يعبد الله فهى:

أولا: إن الله سبحانه هو المستحق بالعبادة لأنه هو الذى فطر الإنسان وإليه يرجع، لقوله تعالى فى ســورة يس: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (آية: ٢٢).

لذلك فهم مقتنعون بأنهم يجب عليهم الخضوع لأوامر الله.

ثانيا: يكشــف القرآن الكريم أن من بين هــؤلاء العبّاد من يعبد الله على حرف، لقوله تعالى فى ســورة الحــج: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ

حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ (آية: ١١ – ١٣).

أما عن الأسباب التى جعلت من الناس من لا يعبد الله فهى:

أولا: الاستكبار عن آيات الله، والاستنكاف عن عبادة الله، لقوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ **(آية: ٩٣)، وقوله تعالى فى سورة النساء:** ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ **(آية: ١٧٢).**

ثانيا: غواية الشيطان (إبليس)، فعبدوه حيث يقول تعالى فى سورة ص: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ **(آية: ٨٢ – ٨٣). ويقول سبحانه فى سورة يس:** ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ﴾ **(آية: ٦٠).**

ولكن لما كان الدين فطرة فى الإنسان، لقوله عز وجل فى سورة الروم: ﴿حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ **(آية: ٣٠) ولما كان مستقرا فى نفس الإنسان أنه عبد وأن له إلها، الأمر الذى يضطره أن يتخذ معبودا لا ينفعه ولا يضره إرضاء لفطرته وليس خضوعا لخالقه؛ فنراهم قد يعبدون بقرة، أو تمثالا، أو صورة، برغم أنهم يعلمون يقينا أنهم هم**

الذين رسموها، فيقول تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ **(آية: ٦٦).**

وقد اهتم القرآن الكريم أن يعرض لصفات العابدين، فيقول سبحانه فى سورة آل عمران: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ **(آية: ١٥ – ١٧).**

ويقول سبحانه فى سورة الزمر: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ **(آية: ١٧ – ١٨).**

ويقول سبحانه فى سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ **(آية: ٦٣ – ٦٨).**

كما يقول سبحانه فى سورة الإنسان: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾ **(آية: ٥ – ١٤).**

ويقول سبحانه فى سورة المؤمنون: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝١١٠﴾ **(آية: ١٠٩ – ١١٠).**

ويقول سبحانه فى سورة التوبة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١١ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٢﴾ **(آية: ١١١ – ١١٢).**

وطبيعى أن يكون للعابدين جوائز فى الحياة الدنيا، إلى جانب جوائزهم فى الآخرة.

وفـى مقدمة تلك الجوائـز فى الحياة الدنيـا أن الأرض جعلها الله ميراثا خاصا لهم، فيقول سبحانه فى سورة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (آيـة: ١٠٥). بـل وكل مـا فى الأرض مـن رزق فهو أصلا لعبـاد الله، فيقول سبحانه فى سورة ق: (﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ (آية: ٩ – ١١).

لكن القرآن الكريم يعود فينص على أن الله سـبحانه لا يبسط الرزق لجميع عباده وإنما يبسطه للبعض منهم، فيقول سبحانه فى سورة سبأ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ (آية: ٣٩)، ويوضح أن السـبب فى ذلك الخشية من بغى البعض منهم، فيقول سبحانه فى سورة الشـورى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (آيـة: ٢٧). لكـن القرآن الكريم يؤكـد على أن عباد الله بصفة عامة سـيحصلون على ما يكفيهم فى تلك الحياة، فيقول سـبحانه فى سـورة الزمر: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ﴾ (آية: ٣٦).

وينـص القرآن الكريم أن من جوائز عباد الله فى الحياة الدنيا إجابة الدعاء، فيقول سـبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (آية: ١٨٦)، لذلك يقول سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (آية: ٨٤).

وقد كشف القرآن الكريم أن عباد الله ليسوا سواء، بل منهم الصالحون الذين على رأسهم الصفوة، ومنهم أيضا نعم العباد، ومنهم من يخشون الله، ومنهم المخلصون، ومنهم الشاكرون، حيث يقول سبحانه في سورة النمل: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ (آية: ٥٩).

ويقول سبحانه في سورة ص: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (آية: ٤٤)، ويقول عز وجل في سورة فاطر: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (آية: ٢٨)، ويقول سبحانه في سورة ص: (﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (آية: ٨٢ – ٨٣)، ويقول سبحانه في سورة سبأ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (آية: ١٣).

ويوضح القرآن الكريم أن الله بصفة عامة، رءوف بعباده ولطيف بهم، حيث يقول سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آية: ٣٠)، ويقول سبحانه في سورة الشورى: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ (آية: ١٩) وأنه سبحانه غفور رحيم، فيقول في سورة الحجر: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (آية: ٤٩)، وأنه سبحانه هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات، فيقول

سبحانه فى سورة الشورى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ **(آية: ٢٥). ويقول سبحانه فى سورة الزمر:** ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ **(آية: ٥٣).**

وأخيرا يكشف القرآن الكريم أن العابدين عندما يحين رحيلهم فإنهم فى عناية الله ورحمته، فيقول سبحانه فى سورة فاطر: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ **(آية: ٤٥). كما يقول سبحانه فى سورة الفجر:** ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدۡخُلِى جَنَّتِى ٣٠﴾ **(آية: ٢٧ – ٣٠).**

ولما كانت التقوى هى الغاية من العبادة فإن المتقين من عباد الله يدخلون جنات عدن، فيقول سبحانه فى سورة مريم: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـًٔا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيًّا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةً وَعَشِيًّا ٦٢ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ٦٣﴾ **(آية: ٦٠ – ٦٣).**

والله سبحانه وتعالى أعلم.

العـدل

العدل فــى القرآن الكريم، هــو الحكم بمثل الجــزاء لقوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (آية: ٩٥).

وقضيــة العدل فى القــرآن الكريم ترتبط بذات الله، فهو ســبحانه (الحكم العدل).

والعدل أمر من الأوامر الإلهية، حيث يقول سبحانه فى سورة النحل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ (آية: ٩٠)، والعدل المراد هنا هو العدل المطلق، الشــامل لكل حال من الأحــوال، التى يتعرض لها الفــرد فى المجتمع، حاكما أو محكوما، غنيا أو فقيرا، قويا أو ضعيفا، رجلا أو امرأة.

وقــد كان طبيعيا أن يكون العدل على رأس الأوامر التى وجهها الله عز وجل لرســوله الكريم فيقول سبحانه فى سورة الشورى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (آية: ١٥).

ولم يكتــف القرآن بهذا، بل إنه تتبع أيضا دســتور العدل، ليؤكد شموله لكل حال من أحوال الأفراد والجماعات.

فلقد تناول مشــكلة التعامل المادى بين الناس، فشــرع إقامتها على أساس العقود، وألا تترك ســائبة، يسهل على الذمم الخربة إنكارها، ثــم أمر كاتب العقد أن يكون عادلا فيقول ســبحانه فى ســورة البقرة:

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ (آية: ٢٨٢)، وأمر المملى لشروط العقد أن يلتزم كذلك العدل: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ (آية: ٢٨٢). ثم اشترط العدالة فيمن يشهد لإثبات الحق، وأن يجعل قول الحق نصب عينيه دون أن يراعى قرابة، أو يفرط من أجل منفعة فيقول عز وجل فى سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (آية: ١٥٢).

ويأتى دور القاضى الذى يجد بين يديه العقد المملى بالعدل، المكتوب بالعدل، الموثق بشهادة العدل، فيتوجه إليه القرآن بآية تدوى فى قلوب القضاة إلى يوم الدين فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ (آية: ٥٨).

وليس القاضى هنا هو من يشغل وظيفة القضاء بين الناس فحسب، بل كل من حكم بين اثنين قاض، حتى الزوج، الذى تضطره ظروفه أن يجمع بين زوجتين، يعدّ قاضيا، مطلوبا منه أن يحاول الاقتراب من العدل، وألا يحكم الهوى والميل إلى إحداهما ليظلم الأخرى فيقول تعالى فى سورة النساء: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ (آية: ١٢٩)، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ﴾ (آية: ٣).

ولننظر إلى تلك الصورة التى قدمها لنا رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر،

والإمام العادل، ودعوة المظلوم»، فالدعاء سلاح رهيب، من أسلحة الحق سبحانه وتعالى، يجريه على لسان من يشاء من عباده، وقد وضعه فى يد كل من الحاكم والمحكوم، ومنح كلا منهما فرصة ثمينة ليكون مستجاب الدعاء، ماضى السلاح، فالحاكم العادل يدعو فيستجاب له، والمحكوم المظلوم يدعو على ظالمه فيستجاب له.

غير أن الرسول ﷺ لا يكتفى بأن يسلم كلا منهما سلاحه، وإنما هو يشجع المظلوم على استخدامه، ويكشف له عن سرعة مفعوله فيستطرد قائلا: «ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: [وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين].

ولعل فى هذا ما يفسر لنا قوله تعالى فى سورة النساء: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ (آية: ١٨٤).

ذلك كله ليرفع من شأن العدل، ويعلى من مكانة الإمام العادل، حتى ليجعله النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أيضا فى أعلى مقام بين المؤمنين: «سبعة يظلهم الله فى ظله، يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل ...».

وإذا كان العدل هو أساس الملك، فإن الظلم فى تاريخ البشرية هو المؤذن بالخراب، هذا ما تعلمناه من التاريخ، ولم يمر أكثر من ستين سنة ويتكرر درس التاريخ عندما لا تعى السلطة الحاكمة الدرس، فقد كانت مصر قبل سنة ١٩٥٢م لا يمثل الإقطاع فيها والطبقية أكثر من خمسة فى

المائة من ســكان مصر، بينما كان أكثر من تسعين فى المائة عند حد الفقر وربما أكثر من ذلك. وتمر الســنوات سريعا، وتصبح الثروة فى يد حفنة من رجال الأعمال وعلى رأسهم السلطة الحاكمة، بينما الغالبية العظمى من الشعب لا يجد قوت يومه، فيتهاوى كرسى الحكم، ويتهاوى النظام.

العلـم

كل مـا حولك يذهـب، وكل ما حصلت عليه فـى حياتك عرضة للضيـاع، إلا العلم، فهو معك أينمـا كنت، وذاهب معك إذا ذهبـت. لذلك كان العلم هو المقيـاس الحقيقى لمكانة الفرد أو الأمة ومن هنا كانت أهمية العلم، ومن هنا أيضا ندرك السبب فى أن تكون (اقـرأ) هى أول كلمة تنزل من القرآن الكريم.

والعلم فى القرآن الكريم ليس فطريا فى الإنسان حيث يقول سبحانه فى سورة النحل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (آيـة: ٧٨)، ولهذا يقول رسـول الله ﷺ «إنما العلـم بالتعلم، والحلم بالتحلم».

وإذا كانـت الأبحاث الحديثة تدعى تمكنها من تسـجيل البيانات الأولية للذاكرة السـمعية للأجنة فى بطون أمهاتهم باسـتخدام أدوات طبيـة متطورة تقيس المجال المغناطيسـى والتغـيرات التى تحدث لمخ الجنين وفقا لما يسـمعه ويسـتطيع التعرف إليه مـن أصوات وكلمات، وإذا كانـت الأبحاث الحديثـة تدعى أيضا أن الأجنـة لم تتعرف فقط إلى الاختلاف بين الأصوات التى تسـمعها، بـل بدأت هذه الأجنة فى اسـترجاع الكلمات التى سمعوها، وأنهم فى الأسـابيع الأخيرة للحمل

والتى تسبق الولادة يستطيعون التفريق بين حروف العلة مثل الألف والواو والياء. فإن هذا كله ليس معناه أن الطفل قد بدأ تعلم اللغات فى بطن أمه، فنحن جميعا نسمع نباح الكلاب، ويمكننا استرجاع أصواتها والتفريق بينها، لكننا مع ذلك لا نعلم لغتهم لأن العلم فى القرآن الكريم لا يقف عند السمع فقط، أو البصر، ولا يقف عند الإحاطة السمعية أو البصرية، وإنما بالقدرة على تبين ما تعنيه الأصوات التى نسمعها من معان. ولهذا يقول المولى عز وجل فى سورة البقرة ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ﴾ (آية: ٢٥٩).

وإذا كان السمع هو عمل الأذن، والبصر هو عمل العين، والفؤاد هو عمل القلب، فإن أدوات تحصيل العلم فى القرآن الكريم، هى السمع والبصر والفؤاد، فيقول تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (آية: ٣٦).

فقد أثبت العلم الحديث أن العلاقة بين المخ والقلب إنما هى علاقة ذات اتجاهين ذهابا وإيابا، وليس كما كنا نعتقد من أنها علاقة ذات اتجاه واحد من المخ إلى القلب فقط وليس العكس، وأدخل لأول مرة فى تاريخ الطب تعبير "مخ القلب Heart Brain" وأثبت أن للقلب بالفعل جهازا عصبيا خاصا به فى غاية التعقيد يتكون من خلايا وموصلات عصبية وبروتينات، تعمل بشكل مستقل عن الأعصاب المخية، ولها

مستقبلات خاصة بها، ويستطيع القلب من خلاله أن يتعلم ويتذكر ويشعر ويحس ويخاف ويؤمن ويطمئن، وتترجم هذه المعلومات على شكل إشارات عصبية ترسل من القلب إلى المخ (على عكس ما كنا نعتقد)، ويضيف القرآن الكريم وسيلة رابعة لتحصيل العلم، وهو السؤال حيث يقول سبحانه فى سورة النحل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آية: ٤٣)، الأمر الذى يدعونا إلى أن نتيح للطلبة فى قاعات الدرس وقتا لأسئلتهم.

وتكمن أهمية العلم فى أنه الأساس الذى يقوم عليه العقل، فيقول سبحانه فى سورة العنكبوت ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (آية: ٤٣). وترجع أهمية العقل فى القدرة على حل المشاكل التى يواجهها الفرد فى حياته، أو المجتمع، وإيجاد الحلول المناسبة لها، لهذا فهو الأساس الذى تقوم عليه قوة الفرد أو الأمة، وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه وتعالى فى سورة القصص: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ (آية: ٧٨)، وقد تفسر نسبة الأمية فى مصر، بل وفى العالم العربى، والتى تزيد على الخمسين فى المائة، السبب فيما تعانيه مصر من آلام.

أما الأهم من ذلك كله فهو حاجتنا إلى الأدلة العقلية للتعرف إلى وحدانية الله لأن الاستدلال على وحدانية الله يحتاج إلى برهان عقلى،

ولهذا يأتى العقل على رأس الضرورات الخمس التى يلزم الإسلام الفرد والجماعة بحمايتها وهى: العقل والنفس والدين والعرض والمال.

والعلم هو أفضل ما يؤتى للعبد، لقوله تعالى فى سورة النمل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (آية: ١٥).

والعلم أيضا هو أفضل من الملك ومن المال، لقوله سبحانه فى سورة النمل: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آية: ٣٤ – ٣٦).

لذلك كان طبيعيا أيضا أن يرفع الله تبارك وتعالى من مكانة العلماء، فيقول فى سورة الزمر: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ (آية: ٩)، ويقول سبحانه فى سورة المجادلة: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ (آية: ١١)، وكفى العلماء شهادة المولى عز وجل أن اختصهم بخشيته حين قال فى سورة فاطر: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ ﴾ (آية: ٢٨). وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل العلم والعلماء كما فى الحديث الشريف «فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة»، كما جاء فى الحديث: «العالم

يســتغفر له كل شــيء حتى الحوت فى الماء والطير فــى الهواء»، وفى حديث آخر «ســاعة من عالم يتكئ على فراشــه ينظر فى علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما»، ويقول النبى صلى الله عليه وسلم «لكل شيء عماد وعماد الإســلام العلم»، وقد كرم الرسول العلماء ورفعهم إلى أعلى منزلة عندما قال: «العلماء ورثة الأنبياء».

العيـد

لم تــرد كلمة العيد فــى القرآن الكريم إلا مــرة واحدة فى قوله سـبحانه فى سـورة المائـدة: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ (آية: ١١٢ – ١١٥)، ومن النص الكريم نفهم، أن العيد هو الأكل فى جماعة، لذلك كان طبيعيا أن يكون يوم الفطر عيدا بعد صيام شهر رمضان، كما أن يوم الأضحية يكون عيدا حيث يأكل فيه الجميع من لحم الأضاحى، الأمر الذى يدخل البهجة والسـرور على المسلمين، (فقد دخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة رضى الله عنها وعندهــا جاريتان فى أيام منى تغنيان وتضربان الدف، ورسـول الله صلى الله عليه وسلم مسـجى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله عن رأسه وقال: دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وإن عيدنا هذا اليوم).

وقد خص النبى صلى الله عليه وسلم النساء بمزيد عناية واهتمام فى هــذا اليوم فأمر بخروجهن إلى صلاة العيــد مهما كانت أحوالهن، فعن

أم عطية رضى الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخــرج – فى الفطر والأضحــى – العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشــهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: لتلبسها أختها من جلبابها.

وإذا كان مفهــوم العيد فى القرآن الكريم، هو الأكل فى جماعة، فإن العيد ينطوى على تقوية الروابط الاجتماعية ونشر المودة والرحمة والتكافل الاجتماعى بين المسلمين، وتدعيم العلاقات بين الأهل والجيران، وتأتى زكاة الفطر مشــتملة على كل هذه المعانى. فقد روى الدار قطنى أن رسول الله – ﷺ – قال: (أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم).

وعــن ســعد بن أوس الأنصارى عــن أبيه – رضــى الله تعالى عنهما – قــال: قــال رســول الله ﷺ: [إذا كان يوم عيد الفطــر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشــر المسلمين إلى ربٍّ كريم، يمن بالخــير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيــام النهار فصمتم، وأطعتــم ربكم، فاقبضوا جوائزكــم، فإذا صلّوا نــادى مُنــاد: ألا إن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشــدين إلى رحاكم، فهو يوم الجائزة].

كمــا نفهم مــن قوله تعالى فى ســورة الحــج: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (آيــة: ٢٨) أنه فى فرض توزيع لحوم الأضحية على البؤساء، وهم الذين لا يطعمون من فقرهم، ليلفت نظرنا إلى ضرورة أكل اللحم، ولو مرة واحدة فى السنة.

ونحــن حينما نتتبع عيد الفطر فى القــرآن الكريم، نجد أن الله عز وجل اهتم بمطلبين فيه، فلم يكن من باب الصدفة أن يتبع قوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ (آية: ١٨٥)، أى صيام عدة شهر رمضان، قوله تعــالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (آيــة: ١٨٥)، وإنما هــو الترتيب المحكم لآيات الله عــز وجل، لذلك كان التكبير من رؤية الهلال حتى صلاة العيد، هو شــكر الله تعالى على توفيقه لنا بصيام شهر رمضان.

كما أنه أيضا ليس من باب الصدفة أن يتبع قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ (آيــة: ١٨٥)، قوله ســبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ (آيــة: ١٨٦)، وذلــك هــو المطلــب الثانى بأن نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء بعد صلاة العيد، كلٌّ بما يشــاء، فإنه سبحانه قريبٌ مجيب.

الفواحش

الفواحش فى القرآن الكريم هى من أفعال الذنوب المحرمة وذلك لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (آية: ١٣٥) ويقول سبحانه فى سورة الأعراف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ (آية: ٣٣). كما قرن القرآن الكريم بين كبائر الإثم والفواحش فيقول سبحانه فى سورة الشورى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ (آية: ٣٧) وقد حصر القرآن الكريم الفواحش فى الأفعال الآتية:

أولا: الزنى لقوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ (آية: ٣٢).

ثانيا: نكاح ما نكح الآباء من النساء، لقوله تعالى فى سورة النساء: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ (آية: ٢٢)، والنكاح هو تبادل الرغبة بين رجل وامرأة سواء كان ذلك بارتكاب جريمة الزنى أو بعقد الزواج، وإن لم يمس الرجل المرأة وذلك لقوله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ

ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ (آية: ٤٩) وهكذا حرم الإسلام الزواج من النساء اللاتى نكحهن الآباء، سواء كان ذلك بالزنى، أو بالعقد عليهن وإن لم يمسوهن.

ثالثا: الشذوذ الجنسى لقوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (آية: ٨٠ – ٨١)، وإذا كان النص القرآنى قد كشف أن فى مقدور الرجل توجيه الشهوة نحو نفس النوع، فإن هذا معناه أنها شهوة هو يملكها وليس العكس، وذلك بشىء من المقاومة بامتناعه عن فعل الذنب، وإذا كان القرآن الكريم لم يكشف عن الأسباب التى تؤدى إلى توجيه شهوة الرجل نحو الرجل، فإنه يفهم من هذا أن الأسباب قد تختلف من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى بيئة، بل ومن إنسان إلى إنسان.

رابعا: البصر الذى يأتى بشهوة، لأن الله سبحانه وتعالى جعل فى الناس فتنة، حيث يقول عز وجل فى سورة الفرقان: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ (آية: ٢٠). وإذا كنا نفهم من النص الكريم أن الصبر هو العلاج إذا ما وقعت الفتنة، وإذا كانت الوقاية من الفتنة هى الأولى، فقد حرص القرآن الكريم أن يغلق باب الفتنة بغض البصر وما يتبع البصر أيضا من شحن نفسى يتولد عنه الكبت، فيقول تعالى فى سورة النمل: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (آية ٥٤)، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى، أمر المؤمنين بغض البصر، فيقول سبحانه فى سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (آية: ٣٠) كما يأمر سبحانه النساء أيضا بغض البصر فى سورة النور، ويكشف فى النص الكريم عن مواطن عورات النساء، والتى كانت سببا فى ضرورة حجبها فيقول سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (آية: ٣١).

أما الشحن النفسى الذى يتولد عنه ما يعرف بالكبت، هو ما يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (آية: ٣٣) وذلك بأن يعيش مع واحدة من هذه الفواحش نفسيا وإن امتنع عن ارتكاب فعل الفاحشة، ولهذا فإن القرآن الكريم جعل من العقل عدم الاقتراب من الفواحش، فيقول سبحانه فى سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى

حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آية: ١٥١)، وذلك لأن الاقتراب من أى فاحشة قد يؤدى إلى عدم القدرة على مقاومة الشهوة فيقع الفعل المحرم.

وأخيرا، فإذا كان فى غض البصر، وعدم الاقتراب من أى فاحشة حتى ولو نفسيا فقط، وقاية من الفواحش، فإن القرآن الكريم يضع على رأس كل هذا إقامة الصلاة، فيقول سبحانه فى سورة العنكبوت: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (آية: ٤٥).

الفقيـــر

الفقير ضد الغنى، لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ (آية: ١٨١).

والفقير: هو من لا يستطيع ضربا فى الأرض ويؤتى الصدقات، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ (آيـة: ٢٧١ – ٢٧٣).

ولقد ضرب القرآن الكريم بمثالين للفقر، كان بطل المثال الأول، هو موسى عليه السلام بعد أن فقد عمله بهجرته من مصر، فيقول سبحانه فى سورة القصص: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى

سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ **(آيــة: ٢٢ – ٢٦)، ومن تلك النصوص الكريمة نتبــين التوجيه الربانى، وهو يدعو الفقــراء إلى أن يتوجهوا أولا إلى الله بالدعاء ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ (سورة القصص آية: ٢٤).**

أمــا المثال الثانى، فأبطالــه هم المهاجرون رضــى الله تعالى عنهم، وهم الذين فقدوا أعمالهم ومــورد رزقهم فى مكة وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، ليجدوا فى المدينة قلوبا تفتحت لهم وآثروهم على أنفسهم، فيزكى القرآن الكريم صنيعهم، فيقول تعالى فى ســورة الحشــر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **(آيــة: ٧ – ٩) ونتبين بوضــوح أن للفقراء حقا فى إعانة البطالة من مال الدولة فى (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ).**

وقد كشــف القــرآن الكريم أن الفقراء علــى رأس أصحاب الحق فى الصدقات، فيقول عز وجل فى ســورة التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ (آيــة: ٦٠) ذلك على أن يتقدم الفقراء من أولى الأرحام على الجميع.

القـدر

القدر هــو بلوغ الأمر، لقوله تعالى فى ســورة الطلاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ (آية: ٣).

وليلــة القدر هى الليلة التى أذن فيها الله ســبحانه لملائكته والروح بالنــزول إلى الأرض بأوامــره (مــن كل أمره) تفضلا منه ســبحانه على الملكوت الأرضى، وقد كشف القرآن الكريم عن فضل هذه الليلة بما يأتى:

أولا: إن ليلــة القدر هــى الليلة التــى أنزل فيها القــرآن الكريم، لقوله تعالى فى ســورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ (آية: ١)، وقوله فى سورة البقرة: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ (آية: ١٨٥).

ثانيا: إن ليلة القدر هى ليلة مباركة، لقوله تعالى فى سورة الدخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾ (آية: ٢ – ٦).

ثالثا: إن ليلة القدر هى ليلة خير من ألف شــهر حيث إن ما ينزل فى تلك الليلة من الرحمة يزيد على ما ينزل من أوامر الله فى ألف شهر

كاملة وذلك لقوله تعالى فى سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ (آية: ٣ – ٤).

ومن النص الكريم نفهم أن ليلة القدر أسبق فى حدوثها من نزول القرآن الكريم، وإن كان نزول القرآن فى هذه الليلة تتويجا لتلك الليلة المباركة.

رابعا: يكشف القرآن الكريم أن ليلة القدر هى ليلة ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ (سورة القدر آية: ٥) وهذا يعنى أن هذه الليلة محمية بقوانين الله الكونية من الأعاصير والبراكين أو أى شىء يدمر الأرض.

خامسا: إن عدم تحديد القرآن الكريم لهذه الليلة، وصمت رسول الله عن تعيين هذه الليلة برغم أنه كان يعلم فى أى ليلة نزل عليه القرآن الكريم، وأيضا فى إشارته بأن نلتمسها فى العشر الأواخر من رمضان دليل على أن هذه الليلة متحركة فى الليالى العشر الأخيرة وليست ثابتة فى ليلة بعينها.

سادسا: إنها بعيدة عن الأوهام وقريبة من صحيح الدين فإن المطلوب من الإنسان فى هذه الليلة هو الاجتهاد بالعبادة، والدعاء بما طلبه الرسول – ﷺ – من السيدة عائشة حينما سألته بماذا تدعو إذا ما صادفت ليلة القدر فقال لها عليه الصلاة والسلام قولى: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنى).

القبلـة

القبلة فى القرآن الكريم هى ما يولى الوجه شـطره، لقوله تعالى فى سـورة البقرة: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ (آية: ١٤٤).

ويذكر ابن إسـحاق أن تحويل القبلة من المسـجد الأقصى إلى المسجد الحرام فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله – ﷺ – المدينة بينما روى البخارى عن البراء بن عازب سـتة عشر أو سبعة عشر شهرا.

وإذا كان النـص الكريم قد كشـف لنا أن تحويـل القبلة كان إرضاء لمحمد ﷺ، فإنه أيضا كشـف لنا أن السبب فى توجيه المسلمين إلى بيت المقدس بعد الهجرة، كان اختبارا للمسـلمين، حيث يقول سبحانه فى سـورة البقـرة، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (آية: ١٤٣).

ويبادر القرآن الكريم ويكشـف عن السـبب فى هذا التحول من قبلة إلى أخرى، فيقول سـبحانه فى سـورة لبقرة: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا

وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (آيــة: ١٤٢). حقا إن الأمكنــة كلها لله ملكا وتصرفا، وله ســبحانه أن يخص بعضها بحكم دون بعض وما على المؤمنين إلا أن يمتثلــوا لأمره، فــإذا كان البيت الحرام أقدس مــن بيت المقدس فلماذا وجه الله سبحانه المسلمين إلى بيت المقدس؟ وإذا كان بيت المقدس أقدس من البيت الحرام؟ فلماذا عاد فوجه المسلمين إلى بيت الله الحرام، الأمر الذى جعل بعض اليهود يسألون عددا من المسلمين الذين مات لهم بعض أقاربهم وهم على القبلة الأولى وهى بيت المقدس، ما حكم صلاتهم التى كانوا يصلونها.

لذلك كان حادث تحويل القبلة من الأحداث المهمة التى ســجلها القرآن الكريــم، لأن الهدف الأسمى منها، والغايــة الأعظم، والرمز فيها هو قدســية الأمر الإلهى، وليس قدســية المكان، إعلاء لأمر الله كلما توجه المســلم إلى القبلة فى صلاته طاعة لأمــر الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة البقرة آية: ١٤٢).

القلــم

القلم في القرآن الكريم، هو ما يســطر به، لقوله تعالى في سورة القلــم: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾ (آيــة: ١)، والظاهر من نص الآية الكريمة أنها تتناول الأدوات الثلاث التي يتم بها ســطر الحــروف والألفاظ. وهــذه الأدوات الثلاث هي: حــروف المعجم والتي اكتفــت الآية بحرف واحد منها هو (ن)، ثــم (القلم)، وأخيرا، كتابة ما يملى، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (آية: ١).

لكن الأمر ليس بهذه البســاطة التي تبــدو من ظاهر النص الكريم، وذلك أنها أول مرة يأتي فيها الوحي بحرف مستقل من حروف المعجم في مفتتح السورة، ودون أن ينص صراحة على أن (ن) هو حرف المعجم المعروف، مكتفيا بما هو ظاهر من رسمه وقراءته. والآية الكريمة بهذا النحو تدعونا إلى البحث الموضوعي في شأنها، وألا نركن إلى ما ظهر لنا من النص دون متابعة دقيقة لكل ألفاظ الآية.

(وَالْقَلَم) الواو تفيد أن (ن) و(القلم) شــركاء في أمر تبع فيه (القلم) الحــرف (ن). ونلاحظ أن النــص القرآني كان حريصــا أن يأتي بالقلم معرفا، وذلك كي ينســحب على كل أنواع الأقلام التي يعرفها الإنسان، والتي قد يتغير شكلها من عصر إلى عصر.

أما عن مادة صناعة القلم، فالقرآن الكريم يكشف أنه من مادة الأرض ومن شـجرها حيث يقول سبحانه فى صورة لقمان: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (آيـة: ٢٧)، وهذا يعنى أن المادة التى يصنـع منها القلم قد تتباين من مكان إلى مكان، ومن عصر إلى عصر، وإن كان الشـجر شريكا. وهنا لابد وأن يستشـعر القارئ، أن ذلك لم يكن أبدا كلام البشر، لأنه كلام يعلو على الزمان والمكان، ويتسع لكل العصور.

ونلاحـظ أن النص القرآنى كان حريصا أن يأتى بكلمة (يسـطرون) ولم يأت بكلمة (تسـطرون) وذلك أن كلمة (يسطرون) تنسحب على أى زمان ومكان بينما تنحسـب كلمة (تسـطرون) على من يخاطبهم النص فقط، وهكذا يتضح لنا الآتى:

أولا: إن الآية تناولت من حيث الشكل الأدوات الثلاث التى يتم بها سطر الحروف والألفاظ كما هو ظاهر من النص.

ثانيا: إن الآية قد تناولت من حيث الشكل والموضوع أداتين من هذه الأدوات الثلاث هما: (القلم)، و(يسطرون).

ثالثا: إنه لابد وأن يطابق الأداة الثالثة شـكلها معناها فيكون (ن) هو حرف المعجم المعروف. وهذا يكفى لإثبات أن كل الحروف القرآنية التى وردت فى مفتتح السـور بعد ذلك هى من حروف المعجم لأن منزل الكتاب سبحانه وتعالى واحد لا شريك له.

ولكن يبقى سؤال، وهو لماذا وقع الاختيار على حرف المعجم (ن) بالذات كى يكون أحد الأدوات الثلاث التى يتم بها سطر الحروف، ولماذا أيضا أتى النص القرآنى برسم الحرف (ن) ولم يأت باسمه كأن يقول (نون) أو (حرف نون) مثلما عبر النص لفظيا عن (القلم) و(يسطرون)، وهنا لابد لنا من عودة لمراجعة معانى ألفاظ الآية الكريمة. فنقول ألم يثبت لدينا حرص النص القرآنى على العمومية فى (القلم)، وفى (يسطرون). إذن فإن المنطق يقول إن (ن) هو أيضا الحرف العمومى على حروف الأبجدية، وهذا معناه أن الإنسان الذى يتمكن من سطر الحرف (ن) يكون قد تمكن من سطر كل الحروف حيث يمثل (ن) عصب الأبجدية الذى انسحبت عليه كل الحروف.

والقرآن الكريم إذا كان قد كشف عن أهمية القلم فى السطر به من حيث التربية الفنية، فإنه فى نفس الوقت قد كشف عن أهمية القلم فى التربية العقلية، حيث يقول سبحانه وتعالى فى سورة العلق: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ (آية: ٣ – ٤) أى إن القلم عنصر أساسى فى العملية التعليمية.

وأخيرا، يكشف القرآن الكريم عن جانب آخر فى غاية الأهمية للقلم، وذلك عند الخصومة لإثبات الحق، فيقول عز وجل فى سورة آل عمران: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آية: ٤٤)، ويؤكد سبحانه على هذا المعنى فى سورة البقرة، فيقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ (آية: ٢٨٢).

الكعبـة

الكعبة فـى القرآن الكريـم، هى البيت الحرام، لقوله تعالى فى سـورة المائدة: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ (آية: ٩٧)، والكعبة هـى أول بيت وضـع على وجه الأرض على الإطلاق، وهـذا ما يفهم من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (سـورة آل عمران آية: ٩٦)، كما يفهم من التعبير القرآنى بصيغة المبنى للمجهول (وضع للناس) أمور:

الأمـر الأول: إنـه وضع من قبل أن يأتى النـاس وبذلك يكون النص القرآنى قد نفى أن يكون أحد من الناس قد بناه ابتداء.

الأمـر الثانى: إن النص القرآنى عـبر بكلمة (وضع)، ومعروف أن وضع الشـىء لا يكون إلا من أعلى إلى أسـفل، كما أنه فى حرص النص الكريم على أن يعبر بكلمة (وضع) وألا يعبر بكلمة بنى أو أنشأ أو أقيم، يفهـم من ذلك أنـه وضع علـى الأرض جاهزا، وأن بنـاءه لم يتم على الأرض.

الأمر الثالث: إن ثبوت الطبيعة النيزكية للحجر الأسود بعد تحليل قطعـة منه فى المعامل الأمريكية سـنة ١٩٣٦م، يؤكد أن الكعبة نزلت جاهزة من السـماء إلى الأرض، والكعبة هى أعظم أثر لا يزال قائما فى مدينة مكة وهى بناء مكعب قائم فى وسـط البطحاء وهو مربع الشـكل مكون من غرفة واحدة يرتفع سـقفها عن سطح الأرض نحو خمسة عشر

مترا، وفى ضلعها الشرقى باب يوصل إلى جوف الكعبة وهو يرتفع عن سطح الأرض بمقدار مترين، وفى الركن الجنوبى الشرقى يوجد الحجر الأسود من الخارج، وهو يرتفع عن سطح الأرض بمقدار متر ونصف المتر.

الأمر الرابع: إن نزول الكعبة جاهزة من السماء لا يمنع أن يعاد بناء الكعبة بأحجار من الأرض مرة ومرات بأيدى الناس كلما كانت هناك حاجة والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (آية: ١٢٧). وهكذا يمكن أن نقرر مطمئنين أن الكعبة المشرفة هى أول بيت استقبل أول زوجين هبطا على الأرض (آدم وحواء) – عليهما السلام – وهى أيضا أول بيت عبد الإنسان فيه الله عز وجل.

أما موضع الكعبة على الأرض، فالقرآن الكريم يحدد موقعها فى بكة (مكة المكرمة)، أى فى الموقع الذى بكت فيه الأرض بما فى باطنها، ويشير القرآن الكريم فى سورة النازعات إلى هذا فيقول عز وجل: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾ (آية: ٣٠ – ٣٢) (والدحو) فى الدلالة القرآنية، هو خروج الماء والمرعى، وهذا ما نفهمه أيضا من حديث الرسول –ﷺ– أن مكة المكرمة هى التى خرجت منها القشرة الأرضية، حيث قال: (دحيت الأرض من مكة فمدها الله – تعالى – من تحتها فسميت أم القرى). ويتفق ما توصل إليه علماء الغرب فى العصر

الحديث مع ما جاء به الإسلام، وهو أن القشرة الأرضية تكونت نتيجة انفجار بركانى خرجت منه القشـرة الأرضية، وأن الجزيرة البركانية التى تكونت منها اليابسة التى أطلق عليها علماء الغرب اسم (بانجيا) أو القارة الأم، والتى تصدعت بعد ذلك لتصبح مجموعة القارات السبع.

كما نفهم من القرآن الكريم أن مكة المكرمة فى وسـط اليابسـة. وأن الكعبة هى مركز اليابسـة، حيث يقول سـبحانه فى سـورة الشورى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ (آية: ٧).

ذلـك هو ما أثبته العلـم الحديث، كما ثبت علميـا أيضا أن أركان الكعبة المشـرفة فى الاتجاهات الأربعـة الأصلية تماما. ومعنى هذا أن ماء زمزم الذى أسفل الكعبة بحوالى ٣٠ مترا، هو أصل ماء الأرض كلها، الذى أشـار إليه النص الكريم فى قوله سـبحانه فى سورة النازعات: ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾ (آيـة: ٣١)، وأن الكعبـة على فوهة البركان الذى خرجت منه القشـرة الأرضية، بدليل استمرار خروج ماء زمزم من تحته والذى قد يكون من توابع ذلك البركان العظيم.

وإذا كانت الكعبة المشرفة فى الموضع الذى ولدت فيه القشرة الأرضية، وأنه البيت الذى خرجت منه كل الأسـرة البشرية، فحق لهذا البيت أن يكـون قبلة المؤمنين كما فى سـورة البقرة: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ (آيـة: ١٤٤)، وحق لهذا البيت أيضا أن يكون مثابة للناس حين اسـتقباله عند كل صلاة، أو القدوم إليه حاجا.

والكعبة هى قبلة المسلمين، والقبلة فى القرآن الكريم هى ما يولى الوجه شطره، وحيث ما يكون الإنسان، وهو المسجد الحرام لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (آية: ١٤٤).

وإذا كان النص القرآنى قد كشف أن تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام كان إرضاء لمحمد - ﷺ - فإن النص القرآنى أيضا يكشف لنا أن توجيه المسلمين إلى بيت المقدس قبل ذلك كان لاختبار المسلمين حيث يقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (آية: ١٤٣).

وإذا كان المسجد الحرام له بركته وكرامته فإن تحويل القبلة لم يكن لقدسية المكان، لأنه إذا كان البيت الحرام أقدس من بيت المقدس، فلماذا وجه الله سبحانه المسلمين إلى بيت المقدس؟! وإذا كان بيت المقدس أقدس من بيت الله الحرام فلماذا عاد فوجه المسلمين إلى بيت الله الحرام؟!

وعموما فنحن لا نسجد للكعبة، وإنما نسجد للتوجه الإلهى، لأنه ليس من المعقول أن نسجد لحجر نحن الذين أعدنا بناءه بأيدينا عدة مرات.

لذلك فإن الهدف الأسمى، والغاية الأعظم، والرمز فى تحويل القبلة هو قدسية الأمر الإلهى، وإعلاء أمر الله كلما توجه المسلمون إلى القبلة فى صلاتهم طاعة لله عز وجل: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة البقرة آية: ١٤٢).

المــوت

الموت

فـى القرآن الكريـم نقيض الحيـاة، لقوله تعالى فى سـورة النجـم: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ **(آية: ٤٣ – ٤٤).**

والموت فى القرآن الكريم، هو بداية ونهاية كل إنسان، ولكن إذا كنا جميعا نعلم يقينا أنه نهاية كل حى، فكيف كان هو البداية؟!

يقول سـبحانه فى سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ **(آية: ٢٨)، ثم يعود القرآن الكريم ويؤكد سبحانه أن الموت سابق على الحياة فى سـورة الملك حيث يقول عز وجـل:** ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ **(آية: ١ – ٢).**

وإذا كان علماء التفسـير لم يستطيعوا أن يفسروا لنا لغز تقدم الموت على الحياة، بل ويكتفى البعض بالإشارة إلى مرحلة التراب لذلك فإننا سنحاول، مضطرين أن نتعرض لحقيقة الموت والأدلة التى تؤكد حدوثه حتى نجد تفسـيرا مقنعـا لقضية تقدم الموت على الحيـاة التى أكدتها النصوص القرآنية.

وأول الأدلـــة التى يطرحها القرآن الكريـــم، والتى منها نتعرف إلى الموت، هى القضاء على النفس بإمســـاكها لقوله تعالى فى ســـورة الزمر: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ (آيـــة: ٤٢)، والقرآن الكريم لم يربط بين الموت والمرض، أو فشـــل أى جزء من جســـم الإنسان، وإنما ربط بين الموت، وملك الموت فيقول ســـبحانه فى سورة السجدة: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (آية: ١١)، ويساعد ملـــك الموت كوكبة مـــن الملائكة يقومون بنزع النفـــوس نزعا من الظالمين حيـــث يقول عز وجل فى ســـورة الأنعـــام: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ (آيـــة: ٩٣)، أمـــا الطيبون تتولاهم ملائكة الرحمة وتبشـــرهم برضوان من الله ومغفرة وسلام منه ورحمة، فيقول تعالى فى سورة النحل ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (آيـــة: ٣٢)، وقال تعالى فى ســـورة الفجر: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (آية: ٢٧ – ٣٠).

والإنسان حال الموت، يغشى عليه فيقول سبحانه فى سورة الأحزاب: ﴿ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آية: ١٩)، كما يشـــعر الإنســـان بســـكرة، لقوله تعالى فى ســـورة ق: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (آية: ١٩)، وفى

قوله تعالى فى سـورة آل عمران: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آية: ١٨٥) دليل على شعور الإنسـان حال موته بانفصال النفس عن أعضائه عضوا عضوا.

وإذا كان توقـف التنفس توقفا حقيقيا، هو الذى يتوقف عليه حكم القرآن بموت إنسـان فإن القرآن الكريم تعرض لثلاثة أدلة أخرى هامة تتبـع توقف النفس توقفا حقيقيا، وليـس موت أى جزء حتى ولو كان موت جذع المخ، وهذه الأدلة هى:

أولا: عـدم الحركة بحيث لا ترى له اهتـزازا (إراديا أو لا إراديا) حيث يفقد الميت الاسـتجابة لكل محـاولات رد الفعل وهو ما عبر عنه القرآن الكريم (بالخشوع) حيث يقول سبحانه فى سورة فصلت: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾ (آية: ٣٩).

ثانيا: نبهت الآية الكريمة السـابقة، إلى أن النمو من توابع الحركة ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ (سورة فصلت آية: ٣٩)، وطبيعى أن يكون توقف النمو (مثل نمو الشعر والأظافر) من توابع الموت وأدلته.

ثالثا: ضرورة تحلل الجسـم إلى تراب وعظام حيث يقول سـبحانه وتعالى فى سورة المؤمنون: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا ﴾ (آية: ٣٥).

وطبيعـى أن تبدأ مرحلة الموت بتخشـب الجسـم بعد سـاعات من الوفـاة، والانتفاخ كمظهر لبداية التعفن والتحلل ليصير ترابا وعظاما،

وطبيعى أنــه بوضع الميت على الجهاز الــذى يوضع عليه مريض موت جــذع المخ لا يمكننــا أن نجنبه توابع الموت التى أشــرنا إليها من عدم الحركة وعدم النمو وعدم التعفن والتحلل.

وأخيرا، إنه يمكن من الأدلة الســابقة – التى يمكن أن نستدل بها على الموت، أن تنطبق على الجنين فى بطن أمه حيث لا يتعدى الجنين فى بطن أمه أن يكون شــأنه شــأن أى خلايا حية فى بطن الأم، وليس إنســانا حيا، لأنه يفتقــد لعملية التنفس، والتــى لا تبدأ إلا بالولادة. أما حالــة التراب التى قال بها المفســرون، فإنها قــد تكون خاصة بآدم عليه السلام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

النـــار

النار فـى القـرآن الكريم شـجرة ذات لهـب، لقوله تعالى فى سـورة الواقعة: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ ﴾ (آية: ٧١ – ٧٢)، وقوله سـبحانه فى سـورة المسد: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾ (آية: ٣)، وهى شـديدة الحرارة لقوله عز وجل فى سورة التوبة: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ (آية: ٨١)،وهى لذلك تحـرق، لقوله تعالى فى سـورة الأنبيـاء: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ ﴾ (آيـة: ٦٨ – ٦٩)، وهـى أيضـا تضىء المكان الذى توجـد فيه، حيث يقول سبحانه فى سـورة النور: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (آية: ٣٥).

وبرغـم دقة التعريف القرآنى للنار، فإننـا نلاحظ تعارضا ظاهريا بين نصوصه؛ ففى الوقت الذى يقرر فيه النص الكريم أن النار شـديدة الحرارة وحارقة، نجده يقرر، أن النار كانت بردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام، فكيف يكون ذلك؟!

ويرى المفسـرون أن الله نزع عنها الحـرارة والإحراق، وذلك بقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾ (سـورة الأنبيـاء آية: ٦٩)، لأن الله

سبحانه وتعالى إذا أراد لشيء أن يكون فإنما يقول له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة يس آية: ٨٢)، ولكن ليس بهذا التفسير يغلق ملف ما يبدو وكأنه تعارض نصوص القرآن الكريم، فالقضية أكبر من هذه البساطة التى يعالجون بها الأمر. فنحن نعلم أن الكون إما أنه كل متجانس، والطبيعة يحكمها قانون كلى. وإما أن الكون عوالم مستقلة لكل عالم منها قانونه الخاص، فإذا كانت الخوارق أو المعجزات دليلا على عدم وحدة الكون، وعدم وحدة الطبيعة، فإن هذه الخوارق تكون شاهدا على تعدد الآلهة، أو شاهدا على مبدأ التطور، أما إذا كانت الخوارق ما هى إلا أدوات للوصول إلى قانون أوسع وأعم، لأن الاتساق المطرد فى الطبيعة شرط جوهرى لنمو العلم، لأن العلم لا يسمح بوجود معلول بغير علة، وأن وحدة الكون تتضمن افتراضا ما سبق ملاحظته، وما لم يلاحظ حتى الآن، فيكون هذا هو الدليل العلمى على الإله الواحد.

ونحن أمام تحول النار إلى برد وسلام على إبراهيم نجدها تخضع للاتساق المطرد دائما فى الطبيعة، ونمو العلم، لأننا نعلم أن جزىء الماء يتكون من عنصرى الأكسيجين والهيدروجين، وأن واحدا منهما يشتعل والثانى يساعد على الاشتعال، أى إن النار وجهها الآخر ماء، وأن تحول الماء إلى نار أو العكس هو أمر قائم وخاضع تماما للقانون الكلى، وأنه من الأدلة القاطعة على وحدة الطبيعة، ووحدانية الله عز وجل.

ولقد كان مدهشا حقا أن أجد فى تفسير ابن كثير حديثا ورد عن سعيد ابن جبير ويروى عن ابن عباس، أنه لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار

جعل خازن المطر يقول متى أؤمر بالمطر فأرسله، وفى هذا الحديث إشارة واضحة أن المسلمين الأوائل كانوا يعلمون أن النار تحولت إلى ماء.

لذلك فإنه لا يوجد تعارض بين نصوص القرآن الكريم التى تؤكد على أن النار شـديدة الحرارة وحارقة، وكونها بردا وسلاما على إبراهيم، وأن النصـوص فى الحالتين وجهين لعملة واحـدة، هى وحدة الطبيعة التى يحكمها قانون كلى.

النفــس

النفس فــى القرآن الكريم، هى مخلوق من المــاء، لقوله تعالى: فى سـورة الكهــف: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ (آية: ٥١) وقوله سبحانه فى سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ (آية: ٣٠).

والقــرآن الكريم حينما ينص على أن النفس مخلوقة، يعنى بأن لها هيئة لقوله عزل وجل فى سورة آل عمران: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ (آية: ٤٩).

ولم يتعارض الحديث الشريف مع ما ذكرناه بأن النفس مخلوقة من الماء، فقد قال رسول الله – ﷺ – فى حق نفس المؤمن: (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيه السقاة، أما نفس الكافر تتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول) رواه أحمد وصححه شعيب.

ونفهم من سـورة الواقعة أن البصر يتبع النفــس حينما تصل النفس إلى الحلقوم لقوله سبحانه : ﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (آيــة: ٨٣ – ٨٤). وهو ما لم يتعارض معه الحديث الشـريف، وهو أن للنفس هيئة، فقد سـئل رسـول الله عن السـبب فى شـخص البصر عند الموت، فقد قال ﷺ – : (حين يتبع بصره نفسه) رواه مسلم فى صحيحه.

كما لم يتعارض العلم الحديث مع مادية النفس، فقد اكتشف العلماء أن وزن الإنسان ينقص بعد لحظة الوفاة مباشرة، وهذا يعنى أنه بخروج النفس فقد الجسد شيئا ماديا، ولو كان مجرد عنصر غازى.

وإذا كانت النفس فى الأصل من الماء، والجسد فى الأصل من التراب، فإن النفخ فيهما من الروح بعد تسويتهما معا، هو الأمر الإلهى الذى جعل من النفس والجسد إنسانا يتنفس ويتحرك ويجرى الدم فى عروقه، وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه فى سورة الإسراء: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ (آية: ٨٥)، كما يقول عز وجل فى سورة الحجر: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (آية: ٢٩).

ونفهم من القرآن الكريم أن النفس زوجان منها الذكر ومنها الأنثى، لقوله تعالى فى سورة النحل: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ (آية: ٧٢) وقوله سبحانه فى سورة النجم: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ (آية: ٤٥)، وفى هذا ما يؤكد خصوصية نفوس كل من الرجال والنساء.

والنفس فى القرآن الكريم محرم قتلها إلا بالحق، لقوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (آية: ١٥١).

وللنفس قدرات منها ما كسبته فى الخلقة، ومنها ما تكتسبه من التجربة، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (آية: ٢٨٦)، أما ما كسبته النفس فى الخلقة. فإننا يمكن أن نحصره فى:

العقل لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (آية: ٤٤)، والنفس تفكر، لقوله سبحانه فى سورة الروم: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (آية: ٨).

والنفس هى محل التكليف لقوله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (آية: ٢٨٦). والنفس تستيقن لقوله سبحانه فى سورة النمل: ﴿ وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ (آية: ١٤)، والنفس تبصر لقوله تعالى فى سورة القيامة: ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (آية: ١٤)، والنفس تشهد لقوله عز وجل فى سورة الأعراف: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ (آية: ١٧٢)، والنفس تقول فى نفسها لقوله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (آية: ٨)، والنفس ترغب لقوله عز وجل فى سورة التوبة: ﴿ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ (آية: ١٢٠)، والنفس تكن لقوله سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ (آية: ٢٣٥).

والنفس تتسع وتضيق لقوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ (آية: ١١٨)، والنفس تزهق لقوله عز وجل فى سورة التوبة: ﴿ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ (آية: ٨٥)، والنفس

تبدى وتخفى لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ (آية: ٢٨٤).

والنفس يقضى عليها بالموت لقوله تعالى فى سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ (آية: ٤٢).

وللنفس فى القرآن الكريم صفات أساسية، وصفات مكتسبة. أما الصفات الأساسية فهى، أن النفس تشتهى، لقوله سبحانه فى سورة الزخرف: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ (آية: ٧١)، وأنها تهوى، فيقول تعالى فى سورة النجم: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ (آية: ٢٣)، وأن للنفس حاجات، لقوله عز وجل فى سورة يوسف: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ (آية: ٦٨)، وترغب، فيقول سبحانه فى سورة التوبة: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (آية: ١٢٠)، والنفس تخاف، لقوله سبحانه فى سورة طه: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ (آية: ٦٧).

أما صفات النفس المكتسبة، فمنها ما هو من الإحسان، ومنها ما هو من الظلم، حيث يقول سبحانه فى سورة الصافات: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ (آية: ١١٣)، وكما أن النفس قادرة على أن تكون فى جانب الإحسان أو فى جانب الظلم، فإن الله سبحانه وتعالى من رحمته

بالناس، جعل النفس قادرة على أن تصلح من شأنها، فيقول سبحانه فى سورة الرعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (آية: ١١)، ويأتى الهدى على رأس الصفات الحسنة، لقوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ (آية: ١٥)، والتثبيت، لقوله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (آية: ٢٦٥)، والإيثار لقوله تعالى فى سورة الحشر: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (آية: ٩).

ويأتى الكبر والعتو، والعلو على رأس صفات الظلم المكتسبة، فيقول تعالى فى سورة الفرقان: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ (آية: ٢١)، وقوله سبحانه فى سورة النمل: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ (آية: ١٤)، والضلال صفة من صفات النفس الظالمة لقوله سبحانه فى سورة آل عمران: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ (آية: ٦٩)، والعدوان، لقوله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ (آية: ٢٣١)، والإسراف، لقوله تعالى فى سورة الزمر: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (آية: ٥٣)، والبخل، لقوله سبحانه فى سورة محمد: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (آية: ٣٨)، والبغى، لقوله عز وجل فى سورة يونس: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ (آية: ٢٣)، والشح، لقوله تعالى فى سورة التغابن: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ (آية: ١٦)، والكذب، لقوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ﴾

(آية: ٢٤)، والخداع، لقوله سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ (آية: ٩)، والمكر، لقوله عز وجل فى سورة الأنعام: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (آية: ١٢٣)، والحسد، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (آية: ١٠٩)، ثم يأتى فى نهاية صفات الظلم المكتسبة، الوسوسة، لقوله سبحانه فى سورة ق: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ (آية: ١٦)، أما المنافقون فإن ما جعلهم أسوأ الناس، هو أن الأهم عندهم، هو أنفسهم. الأمر الذى أدى بهم أن يظنوا بالله غير الحق ويخفون مالا يبدون، فيقول عز وجل فى سورة آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ (آية: ١٥٤).

وجاء وصف القرآن الكريم للنفوس تبعا لما اكتسبته نفس كل إنسان إلى ثلاث مجموعات، الأولى منها، وهى التى اكتسبت أحسن الصفات، وهى النفس المطمئنة، حيث يقول تعالى فى سورة الفجر: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ (آية: ٢٧ – ٢٨). أما المجموعة الثانية من النفوس فهى النفس اللوامة، فيقول سبحانه فى سورة القيامة: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ (آية: ٢)، وتأتى المجموعة الأخيرة لتضم كل الظالمين تحت شعار النفس الأمارة بالسوء

فى قوله عز وجل فى سورة يوسف: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (آية: ٥٣).

وأخيرا، إذا كان بالموت تفصل النفس عن الجسد، لقوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ (آية: ٩٣)، وإذا كنا نعلم مصير الجسد بعد الموت، حيث يعود إلى التراب، فإن ما نفهمه من القرآن الكريم أن النفس ليس مصيرها إلى الردى كالجسد، وإنما لها نشأة أخرى بعد خروجها من الجسد وهذا ما ينص عليه القرآن الكريم فى سورة الواقعة، حيث يقول سبحانه: ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (آية: ٦١ – ٦٢).

الوطــن

الوطن **فــى القرآن الكريم، هو أرض النُّصــرة، والتى تغنى المواطن مما هو فى حاجة إليه من الأشـياء، وهذا مـا نفهمه من قوله تعالى فى سـورة التوبـة:** ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ **(آيـة: ٢٥). وإذا كان النـص الكريم قد سما بالوطن أن يكون للمسـلمين وحدهم، فإنه سـبحانه عاد ليؤكد هـذا المعنى فـى سـورة هـود:** ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ **(آيـة: ١١٨) ولكن ليس معنى هذا أن الإسـلام يوافق على العلمانية، وألا تخضع الدولة لدين الإسـلام، وإنمـا هذا الأمر مرهون بما يدين به غالبية سكان الوطن.**

ويوضح القـرآن الكريم أن المواطنة فى الدولة الإسـلامية تقوم على أساس المساواة دون النظر إلى الانتماء الدينى أو العرقى أو أى اعتبارات أخرى، وذلك أن الناس جميعا ذرية رجل واحد هو آدم فيقول عز وجل فى سورة النسـاء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ **(آيـة: ١) كما يكشـف القرآن الكريم أن الدين الإسـلامى، مـا هو إلا الحلقة الأخيرة فى سلسـلة طويلة من**

مسيرة الدعوة إلى الله، فيقول تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ (سورة العنكبوت آية: ٤٦). ومادام المسلمون حلقة أخيرة فى مسيرة الدعوة إلى الله، فإن حُسن المعاملة، هو الأساس الذى يجب أن يقوم عليه التعامل بين المسلمين وغير المسلمين، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ (آية: ٨٣).

وجاءت السنة لتكون تطبيقا عمليا للأسس التى تضمنها القرآن الكريم. لذلك كان من أهم آثار الهجرة ذلك الدستور الذى حرص رسول الله – ﷺ – على أن يضعه ليكون نظاما للحياة العامة فى المدينة، ويكون الأساس المتفق عليه للمجتمع الجديد الذى كان يضم المسلمين واليهود والعرب المشركين وأول دستور مكتوب فى التاريخ البشرى يعترف بحقوق المواطنة، وقد تضمن هذا الدستور مبدأ حق المواطنة، وقبول المجتمع الإسلامى للتعددية الدينية، حيث نص كتاب الرسول الكريم: (.. وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم).

كما حرص هذا الدستور على أن يؤكد أن المجتمع الإسلامى يقبل أيضا التعددية العرقية، وأن جميع المواطنين متساوون فى كل الحقوق. فينص كتاب رسول الله، على أن (ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى ساعده مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف).

وبعد هذا كله حرص دستور المدينة على أن يؤكد وحدة كل سكان المدينة الوطنية، فينص: (وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على ما حارب أهل هذه الصحيفة) ثم ينتقل هذا الدستور إلى مبدأ فى غاية الأهمية، وهو حسن المعاملة، حيث ينص الدستور: (وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم).

اليتيم

اليتم في القرآن الكريم هو فقد الأب، ولم تنص الآيات الكريمة صراحة أن اليتم، هو موت الأب وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه في سورة النساء ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ (آية: ٨ – ٩)، كما نفهم من القرآن الكريم أن اليتم مستمر إلى البلوغ لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ (آية: ٦) وقد كشفت الدراسات الحديثة أن أربعة أطفال من كل خمسة يعيشون في مؤسسات رعاية الأيتام حول العالم لديهم أب أو أم على قيد الحياة.

ويوضح القرآن الكريم أن في اليتم فقد للإيواء، فيقول سبحانه في سورة الضحى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (آية: ٦). ولما كان الإيواء، هو ما يعصم، لقوله تعالى في سورة هود: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ (آية: ٤٣)، فإن اليتيم مفتقد لمن يعصمه، على أنه يجب أن نفهم أن الإيواء بمفهومه الواسع يشتمل على جميع الجوانب الحسية والمعنوية، لهذا فإن اليتيم بفقده أبيه عرضة للانحراف، لكنه في نفس الوقت هو قابل للإصلاح

ونفهم ذلك من حرص النص الكريم على مخالطتهم والعمل على إصلاحهم فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ (آيــة: ٢٢٠)، وطبيعــى أن يكون اليتيــم عُرضة للقهر، فقد حــرص القرآن الكريم أن ينبه إلى ضرورة عدم قهر اليتيم، فيقول سـبحانه فى سـورة الضحى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ (آية: ٩).

وإذا كان اليتيم بفقده أبيه فى حاجة إلى عطف الناس، فإنه كان قبل الجميع فى حاجة إلى صلاح أبيه، حيث كشـف القرآن الكريم أن صلاح الآباء يجنيه الأبناء فيقول سـبحانه فى سـورة الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ (آية: ٨٢). ونفهم من النص الكريم أن الذى حفظ المال هو صلاح الأب.

ويربط القــرآن الكريم بين عبادة الله، وبين الإحســان إلى اليتامى، فيقول سـبحانه فى سورة النساء: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ (آيــة: ٣٦) بــل ونجــد أكثر مــن هــذا أن القرآن الكريم ينص صراحة علــى أن الذى يدع اليتيم، هو مكذب بالدين، فيقول سبحانه فى سورة الماعون: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ (آية: ١ – ٢).

وإذا كان القــرآن الكريم قــد جعل على رأس البر الإيمان بالله، فإنه جعل من البر أن تأتى المال على حبه لليتامى، فيقول سبحانه فى سورة

البقـرة: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ (آيـة: ١٧٧)، وجعل القرآن الكريم الإنفاق على اليتامى فى الترتيـب بعد الإنفاق على الوالدين والأقربين، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ (آية: ٢١٥).

كما دعانا القرآن الكريم إلى الحرص على إطعام اليتيم، فيقول سبحانه فى سورة الإنسان ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (آية: ٨)، بل والحرص على تكريم اليتيم، فيقول سبحانه فى سورة الفجر: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ (آية: ١٧).

وبرغم أن القرآن الكريم يعنى بلفظ (اليتيم) الفتى والفتاة، فإنه خص يتامى النسـاء بآية كريمة فى سـورة النساء تناول فيها زواج اليتيمة، فيقول سبحانه: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ (آية: ١٢٧).

وقـد اهتم القرآن الكريم بمـال اليتيم اهتمامـا خاصا، وأنه يجب أن يحرص الناس على حفظ أموال اليتامى، فيقول سـبحانه فى سـورة الأنعـام: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (آيـة: ١٥٢)، كما

اهتم بالتشـريعات التى تتعلق بمال اليتيم فيقول سـبحانه فى سـورة النسـاء: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (آية: ٢). وإذا ما بلغ اليتيم رشـده يجب على الوصى عليه أن يؤدى إليه ماله فيقول سـبحانه فى سورة النساء: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ (آية: ٦).

ويحـذر القرآن الكريم الذين يأكلون مال اليتامى، فيقول سـبحانه فى سورة النسـاء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ (آية: ١٠).

كما يشكف القرآن الكريم أن لليتيم حقوقا فى دخل الدولة الإسلامية، فيقول سبحانه فى سورة الأنفال: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ (آية: ٤١)، ويقول سبحانه فى سورة الحشر ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ (آيـة: ٧)، ونلاحظ أن النص القرآنى فى الآيتين السـابقتين قد حرص على ألا يفرق بين يتامى المسلمين وغيرهم من المواطنين الأمر الذى يجعل للقرآن الكريم السبق فى قوانين حقوق الإنسان، أو حقوق المواطنة.

وأخــيرا يمكننا أن نختم حديثنا عن اليتم فــى القرآن الكريم بذلك النص الكريم الذى يدعو الجميع بالقســط لليتامى، حيث يقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ **(آية: ١٢٧).**

الفهرس

المقدمة..... ٧
القرآن الكريم..... ٩
آدم عليه السلام..... ١٩
إبليس..... ٣٣
الإسراء..... ٣٨
الإسلام..... ٤١
الوالدان..... ٥٠
بدر..... ٥٣
البصر..... ٥٧
الجار..... ٦٢
الجهل..... ٦٤
الحب..... ٦٨
الحج..... ٧٤
الحسد..... ٧٨
الخمر..... ٨٢
الأخوة..... ٨٥
أرزل العمر (الزهايمر)..... ٨٧
الشقاء..... ٨٩

الشيطان..... ٠٩٢
الصلاح..... ١٠٠
الصوم..... ١٠٤
الضحك..... ١٠٩
العبادة..... ١١٢
العدل ١٢٠
العلم..... ١٢٤
العيد..... ١٢٩
الفواحش..... ١٣٢
الفقير..... ١٣٦
القدر..... ١٣٩
القبلة..... ١٤١
القلم..... ١٤٣
الكعبة..... ١٤٦
الموت..... ١٥٠
النار..... ١٥٤
النفس..... ١٥٧
الوطن..... ١٦٤
اليتيم..... ١٦٧